قضايا المرأة

مؤتمرات لبنانية
اراء وابحاث ادبية
نشاطات اجتماعية
رائدات لبنانيات

مقدمة

يتضمن هذا الكتيب مجموعة من الافكار والآراء والنشاطات المتعلقة بقضايا المرأة . واذا كنا نحدد للمرأة ((قضايا)) فذلك لا يعني بان هذه ((القضايا)) وحيدة الهدف . انما هي في الواقع ((قضايا)) تندرج في جدول اهتمامات المجتمع ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

واذا كانت المجتمعات تنقسم الى طبقات متباينة المواقع والاهداف والمصالح ، فان جموع النساء ، وبسبب هذه ((القضايا)) بالذات ، وما يلحقها منها ، مع اختلاف بالنسب ، تشكل طبقة واحدة ، تسقط منها الى حد كبير التناقضات ، لتؤلف وحدة تجمعها مصالح انسانية (ما يتعلق بحقوقها كانسان) مصيرية معنوية وقانونية .

وفي هذا الكتيب نستعرض بعضا من هذه ((القضايا)) منها ما عولج في مؤتمرات وطنية ، وغيرها جاء على لسان ادباء واختصاصيين . وجمع الكتيب باقة منوعة من نشاطات قامت بها جمعيات نسائية لبنانية وهيئات تربوية .

كما يتضمن الكتيب مسيرة رائدة لبنانية كان لها دور مميز في تربية جيل بكامله .

وللادباء المعاصرين حيز خاص في هذا الكتيب سيما هؤلاء الذين احسوا في قرارة نفوسهم بالاجحاف اللاحق بالمرأة وحبروا صفحات كثيرة من اعمالهم الادبية لتصحيح نظرة المجتمع اليها .

وللقصة الشعبية نكهة خاصة . فانها تحكي بلغة الناس المشاكل اليومية التي تواجههم . وقد احتلت في هذا الكتيب مكانها ومكانتها .

ويتضمن الكتيب أيضا نشاطات عالمية لها صلة وثقى بقضايا المراة وتطلعاتها .

قضايا المرأة

نشرة غير دورية بإشراف لجنة حقوق المرأة اللبنانية

دور المواطنة في مغامرة الانقاذ

في جو احتفالي حميم وبحضور نخبة نسائية متنوعة ومشاركة عدد من المسؤولين والمواطنين ، تتقدمهم الرئيسة الاولى السيدة جويس الجميل ، ممثلة فخامة رئيس البلاد ، تناقلت جدران بيت المستقبل أصداء الكلمات الهامة التي ألقيت في ذلك اليوم من ٢٣ نيسان العام ١٩٨٣ .

ان شعار ((دور المواطنة في مغامرة الانقاذ)) قد جذب العديد من المواطنات اللواتي اردن التأكيد على هذا الدور بعدما قدم عدد منهن الكثير في معركة البقاء .

تحية رئيس
شيخ أمين الجميل
المؤتمر الوطني
قبل

ومن البدهي ان يكون للكلمات وقعها ولا سيما تلك التي تتضمن مشاغل المرأة وطموحاتها . انما الحديث عن دور للمرأة الذي أصبح كقصة ابريق الزيت ، لم يعد حديثا جذابا ما لم ترافقه موجبات هذا الدور ومقوماته المادية والقانونية ، التربوية والفكرية ...

وعلى الرغم من أهمية مؤتمر المجلس النسائي اللبناني والمؤتمرات التي سبقته وابرزها مؤتمر « ميثاق حقوق المرأة اللبنانية » يفترض بنا ، حتى ندمج اقوالنا باعمالنا ، ان نعود الى ذواتنا واكتشافها اولا ، ومن ثم دراسة طبائعنا ، التي تطبعنا بها منذ ان رأينا النور . ان امراضنا باطنية. اذ عندما نتفوه بكلمات الحقوق والواجبات ، تضيع اصداؤها في اللاوعي لدينا ، وتتردد بدلا منها تلك التي غرست فينا وتوارثناها منذ بدء التاريخ المكتوب حتى يومنا هذا . ان ان اعلاء شأن المرأة وتأمين حقوقها لتسهيل القيام بواجباتها يتطلب منا ، نحن اللواتي ، نتكلم باسمها ، ان نقتلع قبل كل شيء ، وباستمرارية تصاعدية عقلانية ، كل الافكار والقناعات الطفيلية التي نبتت وتنبت في دواخلنا وتتحكم بتصرفاتنا رغما عن ارادتنا .

وفي اعتقادي انه من أولى مهام الهيئات النسائية ، الى جانب مهمة تعديل القوانين التي تتضمن اجحافا بحق المرأة، واستحداث الجديد منها ، القيام بحملات اختراق للنفوس والعقول والقضاء على ما تعتمرها من تردد وخوف او من اللامبالاة وعدم الثقة بالنفس .

وان كنا نعلق أهمية قصوى على الابحاث والكلمات التي ألقيت في مؤتمر المجلس النسائي اللبناني وعلى ما صدر عن هذا المؤتمر من توصيات ، ذلك لاننا كنا قد قيمنا ونقيم دائما هذا المجلس لانه حافظ على وحدته في الوقت الذي تفككت فيه اكثر من خلية اجتماعية واحدة (عائلة) .

وهذا ما أكدت عليه السيدة املي فارس ابراهيم في جلسة افتتاح المؤتمر اذ قالت « ... والمجلس النسائي اللبناني الذي ظلت الوحدة مهيمنة على صفوفه رغم تعدد الاتجاهات ورغم ما أصاب العديد من المؤسسات والمنظمات من انقسام وتشرذم ، ان المجلس النسائي الموحد قرر ان تكون هذه الوحدة النسائية الفاعلة الى جانب جميع الطاقات المتوثبة للاشتراك في مغامرة الانقاذ ... » .

فمن هذا التقييم ورغبة منا في المشاركة بالتقويم والتنشيط والتطوير ، وكوننا عضوا ملتزما بقرارات المجلس المذكور ، نسمح لانفسنا أعطاء رأينا بكل اخلاص وصراحة . ونسجل في هذا السياق بعض ما جاء في وثائق المؤتمر ونعلق عليها حسب قناعاتنا دون التقيد بالتسلسل الترقيمي الذي اتبع في جلسات المؤتمر .

• • •

« دور المواطنة في مغامرة الانقاذ ! » . انه الشعار الاكثر شعبية ، ليس استهواء مزاجيا ، انما كوننا كلنا بحاجة الى انقاذ ، افرادا وجماعات ، ارضا ومؤسسات ، وطنا وسيادة ، حرية وديمقراطية . وعملية الانقاذ ايضا بحاجة الى كل واحد منا ، مواطنين ومسؤولين . اذا انه الشعار الذي يجب ترجمته بعمل يجعل من المغامرة اقتحاما والانقاذ هو نصر حقيقي للبنان .

ما هو بالتحديد الدور الذي يجب ان تضطلع به المواطنة ؟

لنقرأ سوية ما جاء في بحث الاستاذة لور مغيزل ، اولا عن دور المواطن ، كل مواطن !

تقول الاستاذة لور : « ... لن نتوقف عند دور المواطن، كل مواطن ، وهو امر بديهي في نظام ديمقراطي يقوم على حكم الشعب ويتوقف نجاحه على اسهام الشعب وحسن مشاركته المسؤولية .

ولن نتوقف عند دور اللبناني ، كل لبناني ، فيما يجتازه لبنان من مرحلة مصيرية تستوجب توحد اللبنانيين جميعهم حول الحكم ونصرته وشد أزره .

فغني عن القول ان الانقاذ لن يتحقق من الخارج ان لم تتأصل جذوره في الداخل .

وغني عن القول ان الانقاذ ليس فقط انقاذ حبات تراب ، يجلو عنها كل غريب ، بل هو ايضا انقاذ الانسان في لبنان يسأل عنه كل لبناني ... » .

ثم تقول الاستاذة مغيزل « ... فكما عملية الانقاذ شاسعة الحدود والافاق كذلك دور المواطن يتعذر حده أو حصره في زمان ومكان كما يتعذر تصنيفه عملا ما او عملا اكثر أو أقل اهمية . فدور المواطن هو التزام حياتي يومي يضطلع به كل لبناني في أصغر الامور واكبرها ... » .

وتنطلق الاستاذة مغيزل من بديهيات للدور اللامتناهي واللامحدود للمرأة فتقول :

« ... ١ ـ للمواطنة دور اساسي اكيد في اعادة بناء لبنان وانماء المجتمع وارتقاء الانسان فيه .

٢ ـ ان الدور الذي نعنيه ليس دورا بالواسطة بل هو دور مباشر تقوم به كل مواطنة بصرف النظر عن وضعها العائلي .

٣ ـ ان هذا الدور ليس محتوما جامدا تحصر المواطنة ضمن حدوده بل هو متغير متبدل متطور قد يختلف من امرأة الى اخرى.

٤ ـ ان هذا الدور ليس ثانويا هامشيا فلا واحد يخطط المدن والاخر يحضر القهوة ، كما ما زلنا نقرأ في الكتب الابتدائية في أرقى مدارس العاصمة .

٥ ـ ان التمييز اللاحق بالمواطنة ، فضلا عن انه يتنافى مع كرامتها كانسان ، فهو يحد من اشتراكها في الحياة العامة ولا بد من ازالته وتوفير الشروط التي تتيح لها تحقيق ذاتها والاندماج التام في عملية الانقاذ واعادة البناء » .

ومن البديهي ايضا من أجل ان تتمكن المواطنة من القيام بهذا الدور ان تهيأ لها التربة الخصبة فكرا وممارسة مما يستوجب كما جاء في بحث الاستاذة لور :

« ... وضع سياسة اعلامية تقضي على الافكار المسبقة وتصحيح نظرة المجتمع الى المرأة وصورة المرأة في ذهن المرأة نفسها ، وتبرز أهمية دورها وتسهم في خلق الوعي ونشره لدى المواطنة والمواطن ، عبر وسائل الاعلام كافة وفي جميع برامجه (الاخبارية والترفيهية او التثقيفية او الدعائية) .

... اجراء التعديلات القانونية اللازمة لجعل التشريع اللبناني منسجما واحكام الدستور والوثائق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان ... » .

وبعد ان تستعرض الاستاذة مغيزل ما كانت قد تقدمت به الهيئات النسائية من ابحاث ودراسات وتوصيات تساعد على ازالة

التمييز اللاحق بالمرأة في القوانين أشارت انه على الرغم من ان لجنة تصحيح اوضاع المرأة في القانون لا تدخل ضمن الصلاحيات الاستثنائية للحكومة ، لكن ذلك ممكن في حال تقدمت السلطة التنفيذية بمشاريع قوانين معجلة . واعطت المتحدثة مثلا لذلك اذ قالت : « ... وقد كان لحكومة ماضية سابقة في هذا المضمار اذ اقدمت في السنة ١٩٧٤ ، بقانون معجل ، على تخفيض اجازة الامومة لموظفات الدولة من ٣ اشهر الى ٤٠ يوما مخالفة بذلك الوثائق الدولية كافة والاتجاهات العالمية ... » . ثم قالت : « ... نرجو كما سبق للسلطة التنفيذية ان استعملت صلاحياتها انذاك للرجوع القهقرى بالتشريع اللبناني ، نرجو ان تستعمل السلطة التنفيذية اليوم حقها لجعل التشريع اللبناني مسايرا ركب الحضارة وضامنا لحقوق الانسان وحرياته ... » .

وبعد ان اوردت الباحثة عناوين من شأنها في حال تخطيطها آن تؤمن للمرأة مشاركة فعلية في الحياة السياسية قالت :

« ... ومن أجل تخطيط هذه السياسة التي ذكرنا بعض عناوينها ، قد يحسن احداث جهاز رسمي على أعلى مستوى يكون له حق التقرير » . واستطردت قائلة : « ... نحن اذ نطلب من الدولة اخذ المبادرة واعتماد سياسة وتكوين جهاز لاشراك المواطنات في ورشة البناء والانماء ، فانما لا نبغي تحميل الدولة وحدها هذه الاعباء . فكل منا يعي ما يترتب عليه من مسؤولية في ذلك .

فالمجتمعات ههنا اشتركن دون ان ينتظرن اشراكهن بما سلخن من اعوام طويلة في حقل القضايا العامة والخدمة الاهلية المتطوعة ... » .

لقد أجادت الاستاذة مغيزل كعادتها في وضع النقاط على حروف المشاركة الفعلية للمرأة في مغامرة الانقاذ ودعمت كلامها براهين واستشهادات وقرارات دولية ، انما كالعادة ايضا فهذه الاجادة تتطلب جدية في العمل اليومي الدؤوب من قبل المواطنة والمسؤول على حد سواء . ولعل ما جاء في نهاية كلمتها يعطي الدلالة المقنعة لما هي عليه المرأة اللبنانية في كل انحاء لبنان . تقول الاستاذة لور مغيزل :

« ... ولكن نحن المجتمعات ههنا لسنا صورة صحيحة عن المواطنات .

وما نطالب به ليس من أجلنا بل من أجل مواطنات لا يطالبن هن بحقوق لانهن لا يعلمن ان لهن حقوقا فلا صوت بالتالي لهن ولا مطالبة ولا مشاركة .

فالمواطنات في المناطق المحرومة من لبنان أو في الفئات المغلوبة على أمرها ، هن كنساء محرومات ومغلوبات مرتين ، فكيف نطلب اليهن المساهمة في الانقاذ ان لم نؤمن لهن الحد الادنى من مقومات هذه المساهمة ؟..» .

وبأشارة الاستاذة لور الى « المحظوظات » من النساء نتوجه مباشرة الى الدور الذي يجب ان تضطلع به الجمعيات النسائية . اذ على ما اعتقد « المحظوظات » هن لسن صاحبات القصور الفخمة والمال الوفير ، لسن اولئك اللائي يقضين وقتهن الى الطاولة الخضراء وما شابه ، بل أولئك اللائي تمكن من تخطي حواجز التقاليد والاغراء الانثوي والضعف وعدم الثقة التي أقيمت حول المرأة لابعادها عن المشاركة الفعلية في تقرير المصير ، مصيرها ومصير وطنها . فقد صيغت على مر الزمن قوانين كثيرة وروجت افكار جمة ورتبت مهام متباينة ومتنوعة ، جعلت لكل فئة من النساء سنن حياة تتناسب مع البيئة التي تحيط بها : للمرأة الجميلة ، البعد عن السياسة لانها لا تتلاءم مع الانوثة والجمال . خلقت لارضاء الرجل واشباع شهواته .

وللمرأة الغنية ، لا مانع من الغرق في الترف والحلى الثمينة واسراف الوقت حيث لا مجال للتفكير بان المرأة سلعة لا اكثر — ولكن ربما أقل — .

أما المرأة في الطبقة الشعبية الفقيرة ، اذا وجدت عملا خارج المنزل فليكن فقط لمساعدة الزوج . أما المرأة المحافظة ، فبيت المرأة مملكتها وقبرها . خلقت لتربي الاجيال ، والامومة هبة من السماء . اذا «المحظوظات» في قاموس الاستاذة مغيزل ، على ما اعتقد ، هن اللواتي تجرأن نفض المقولات التي تجعل منهن توابع اجتماعية وسياسية ووطنية .

• • •

« دور الهيئات الاهلية » في مشاركة المواطنة في مغامرة الانقاذ

قيمت الدكتورة امان شعراني ، في

مستهل حديثها دور الهيئات الاهلية في « ... دفع عجلة التغيير ضمن التنمية الشاملة المطلوبة رغم الصعوبات التي عشناها والمشكلات التي نحاول ان نتخطاها .. » .

كما تضمنت المقدمة قولا اساسيا هو ، على ما اعتقد ، لسان حال كل مواطن ومواطنة جاء فيها :

« ... ان الزمن الذي نعيشه لم يعد يتحمل تنظير الكلام والعلاج المسكن ، فخلاصنا اليوم يكون بتعاوننا ، وبتفاهمنا الاخوي ، وبالتفافنا حول الشرعية قولا وممارسة لنتخذ القرار الموحد الذي عبره وحده تتم عملية الانقاذ . والعهد دائما في حاجة الى مزيد من دعم الهيئات الاهلية من اجل القيام بكل واجباته ومسؤولياته . وحين تكون المسؤولية من اجل انقاذ وطن ، فلا بد من يقظة ومشاركة شعبية ... » .

وعما تتمناه الهيئات الاهلية من العهد قالت الدكتورة شعراني : « ... ولعل الرسالة الكبرى التي تطالبها هذه الهيئات من العهد ، هي اعادة صياغة للنظام الديمقراطي الذي نعيش في كنفه، بل صناعة الديمقراطية اللبنانية على نحو يؤمن معا حماية الوطن والمواطن ، وذلك باعتماد اساليب جديدة تقترن فيه وتتزاوج وتتلاحم سلطة السياسة بسلطة العلم والمعرفة والاختصاص واستثمار ورصد كل الطاقات المبدعة والمنتجة والمخططة في سبيل تكريس نهج جديد للبنان الجديد بعد ان لمسنا فشل وتقصير الاساليب القائمة على الارتجال والمساومة والتجميد وتشتت الطاقات ... » .

وحول الديمقراطية ومفهومها وتبلورها تقول الدكتورة : « ... ولعل اكثر الهيئات تحسسا لغياب الديمقراطية ، هي الهيئات النسائية ... » .

« ... فديمقراطية الهيئات النسائية تتبلور في صب الجهود على تحرير المرأة من فكرة التبعية للرجل ، وقبولها التمييز بينها وبينه ، وتحريرها من الصفات والقيم والوظائف التي سميت باسم الطبيعة الانثوية، ومن الاقوال الشائعة التي تضم عمل المرأة البطولي في تربية الاولاد وصناعة الرجال . فما هذه المبالغات الا تغطية للتصغير ووضع القيود والحواجز لتقدمها وتطورها ... » .

وحول أهمية دور الهيئات الاهلية تجاه العمل تدخل الدكتورة شعراني في الموضوع الاهم اذ لا يمكن لاي مواطن ان يكتسب المواطنية الحقيقية ما لم يسهم بشكل ام باخر بالتنمية الوطنية .

ومن هذا المفهوم ترى الدكتورة شعراني ، بعد ان تشير الى نسبة اشتراك المرأة الهزيل في قطاعات الاقتصاد المنتجة والتي تشكل استنادا الى الدراسات التي قامت بها اللجنة الاقتصادية لغربي اسيا ، ١٨،٤ ٪ الى « ... ان هذه النسبة القليلة من النساء المشاركات في الانتاج الاقتصادي تفضح تقصيرا في القدرة على استخدام الطاقات المتوافرة . فمن غير المعقول ان تبقى المرأة وهي المكونة لقسم لا يستهان به من الموارد البشرية معطلة او غير مشاركة بشكل فعال في عملية الانتاج ... » .

وفي مجال تعليلها لعمل المرأة الذي « ... استغل لرفع مستوى دخل الاسرة اكثر مما حقق التحرر الاجتماعي والسياسي والثقافي .. » ، تعتبر الدكتورة شعراني « .. ان رفع شعار خروج المرأة للعمل دون تخطيط واع سوف يقود بالضرورة الى تضاعف الاستغلال الواقع عليها ، وبدلا ان تكون مسؤولة داخل البيت ، تصبح بالاضافة الى ذلك مسؤولة عن العمل خارجه .. » .

اننا اذ نؤيد هذا التحليل لا يسعنا الا ان نذكر بان خروج المرأة الى ميدان العمل ما زال تحت ضغط الحاجة المادية ولم يصبح بعد وعيا اجتماعيا ووطنيا .

اذن ان المرأة التي تعمل لم تنتظر من احد ان يرفع شعار : اخرجن ايتها النساء الى العمل . فالاوضاع الاقتصادية المتردية تتطلب راتبين على الاقل من أجل اعالة عائلة من شخصين (راتب لايجار البيت واخر للغذاء والتطبيب والحاجات الضرورية) . فان طلب العمل من قبل النساء يزداد علما بانه يجري استغلال عمل المرأة ، فقط لانها انثى ، وغالبا تعطى اجرا ، لنفس العمل ، أقل من اجرة الرجل (في المؤسسات الخاصة) ، اذ ما يزال يعتبر عملها ثانويا وليس اساسيا .

ونعود لنلتقي مع الدكتورة شعراني حين تطالب بتأمين الخدمات المساعدة للمرأة العاملة أو الموظفة كدور حضانة ورياض اطفال . ولكن ليس فقط من قبيل « .. تخفيف عبء العمل المنزلي عنها .. »، بل في سبيل تأمين ما يحق للطفولة على المجتمع ، لانه في رأينا ان هذه المؤسسات ما قبل المدرسة ضرورية لتكوين شخصية الطفل وتعويده على الحياة الاجتماعية وحب الاخرين

والاعتماد على النفس .

وهنا لا بد من اشارة صغيرة حول فكرة نرددها جميعنا عندما يجري الحديث عن دور للمرأة وكأننا نشعر باقتراف ذنب . (فيتغلب العقل الباطني على الفكر المتطور) . نسارع فنقول كما جاء ايضا على لسان الدكتورة شعراني « ... فعمل المرأة في المنزل وتربية اطفالها سيظل يحتل أهمية كبرى بالنسبة للاسرة والمجتمع . وسيبقى هاجسنا الاول كيف نستطيع أن نوفق بين هدف المحافظة على العائلة وهدف ادخال المرأة في النشاط الاقتصادي ... » .

لسنا الآن بصدد تفصيل هذا الموضوع تفصيلا علميا ديمقراطيا يرتكز على المساواة في الواجبات والحقوق . ولكننا اردنا فقط الاشارة اليه لنقول : بان المرأة الام مثلها مثل الرجل الاب تقع عليهما ، وبالتساوي ، مسؤولية تربية الاطفال وتكوين الاسرة .

اعتبرت الدكتورة شعراني ، التعليم المتكافىء المدخل الرئيسي لمشاركة المرأة في الحياة العامة وبينت الاجحاف اللاحق بالمرأة في هذا المجال ، حيث قالت : « ... ولكن المرأة اللبنانية لم تأخذ بعد فرصتها المتكافئة في التعليم الابتدائي ، فنسبة الامية عند الاناث تشكل ٤٤ ٪ مقابل ٢٠ ٪ بين الذكور سنة ١٩٧٥ . وفي مجال الجودة والكيف في التعليم الثانوي بانواعه المختلفة تظهر مشكلة عدم التوازن بين التعليم الثانوي النظري والتعليم العملي المهني .

ولا يزال التحاق الفتيات في التعليم الجامعي يحتاج الى توجيه واعادة نظر لان الكثيرات منهن يقبلن على دراسة العلوم النظرية ولا تكون فرصتهن في الدراسات العلمية النافعة في مجالات التنمية الاقتصادية متكافئة مع البنين ... » .

وفي سياق حديثها عن التعليم ورأيها عند وضع اسس النظام التعليمي والتربوي الجديد اشارت الدكتورة شعراني الى ان « .. المشكلة الحقيقية التي نواجهها اليوم تكمن في تكوين الوعي الاجتماعي والتربوي في اطار التنمية المطلوبة للانسان اللبناني عن طريق ترسيخ مفهوم المساواة في الحقوق والواجبات بين الجنسين بمختلف الوسائل المتاحة وخاصة في المناهج المدرسية وبحملات التوعية الهادفة الى تثقيف الرأي العام ولحمله على نبذ كل الممارسات الشاذة والقضاء على كل النعرات التمييزية ... » .

كيف ينظر المسؤولون الى دور المواطنة في مغامرة الانقاذ ؟

لقد اشارت كل من السيدة املي فارس ابراهيم والاستاذة لور مغيزل الى اهمية وجود ثلاثة وزراء « ممثلون عن السلطة يرسمون معنا ما سيقومون به لادماج النساء في الحياة العامة .. » .

وقد عالج المسؤولون الثلاثة كل من وجهة نظره موضوع مشاركة المرأة في مغامرة الانقاذ ودور الدولة في هذا المجال. وعندما يتحدث مسؤول في مؤتمر وطني ، يعني انه قطع عهدا على نفسه . وعهد الحر دين .

لن نورد في هذه الصفحات ، الجمل الانشائية الجميلة جدا التي جاءت على لسان بعضهم لكننا سنحصر اهتمامنا بالاراء والمواقف التي تجلت من بين السطور عند كل صاحب معالي .

« ... بصفتي رجل قانون ، أعرب لكم عن أمنية ارجو ان أتمكن من تحقيقها وانا وزيرا للعدل وهي الغاء النصوص الواردة في بعض القوانين والتي تميز بين الرجل والمرأة او انها تضع المرأة في مرتبة ادنى من الرجل . واذا كنت أقول ذلك في معرض التمني فلانكم تعرفون معي ان هذا الموضوع دونه بعض الصعوبات التي لا مجال لشرحها الان. ولكني سأحاول ان احقق ذلك كما سيحاول معي كل من يؤمن بان تعزيز دور المرأة المواطنة في لبنان لا بد ان يبدأ بالغاء النصوص القانونية المجحفة بحقها وبخاصة في قانون التجارة وقانون الموجبات والعقود وقانون العقوبات» .

انه عهد قطعه وزير العدل على نفسه ، ولكن مع الاسف الشديد ، وقبل ان يفسح لنا وقت الشعور بهذا التمني الصادق كل الصدق ، وعوضا ان تلوح في الافق بوادر « أمنية » معالي الوزير في الغاء النصوص التي تميز بين الرجل والمرأة ، ظهرت بسرعة مذهلة عودة الى تطبيق اجتهادات كانت قد التغت تلقائيا ، اذ فوجئت المواطنات بتعميم لدى دوائر جوازات السفر ، برفض شهادة المرأة . وحين احتجت احداهن قائلة : انا محامية وكيف لا تقبل شهادتي ؟ أجيبت بالحرف الواحد : اجلبي رجلا من الشارع تقبل شهادته اما المرأة فلا .

هذا النموذج الجديد من التمييز نطرحه

امام معالي وزير العدل ، لعل هناك خطأ ما يمكن تصحيحه .

ونبقى مع معالي الاستاذ روجيه شيخاني الذي اعتبر مجالي العدل والاعلام قطاعين حرين حين قال :

« ... ان المحاماة والصحافة هما قطاعان حران ، ولجتهما المرأة باكرا دونما عقبات تذكر ، ومارستهما وما زالت بجدارة وثقة ومسؤولية . فالفضل في ذلك يعود اليها بالدرجة الاولى . أما في المجالات العدلية والاعلامية التي للدولة دور فيها فلا يسعني الا ان أقول ان الدولة تسعى لان تمارس فيهما سياسة عادلة ، لا تمييز فيها الا من حيث الكفاءة وهذا على الاقل ما باستطاعتي شخصيا ان اقوله بالنسبة الى المباريات الرسمية التي تمت باشراف وزارة العدل ، أو بالنسبة الى العمل الاعلامي العام في مختلف اجهزة وزارة الاعلام ... » .

ارى انه لا بأس ان أعدنا الى الذاكرة كيف رفضت المحاميات اللواتي احتلين المراتب الاولى في مباريات منصب القضاة (١٩٧٧). كذلك لا بد من التذكير بالنسبة المئوية من صاحبات الاختصاص واسباب انخفاضها ، انما ما نريد لفت النظر اليه هو ماذا نريد من الاعلام ، لان ما يهم المرأة في هذا المجال ، ليس عدد العاملات فيه بل صورة المرأة في وسائل الاعلام ، فنتمنى على وزير الاعلام اعطاء هذه الناحية اهتمامه وان يعمل على تصحيح هذه الصورة المهتزة جدا والتي تشوه انسانية المرأة وكرامتها ودورها .

فان حجم التنمية الاجتماعية يجب أن يكون بحجم مغامرة الانقاذ

لقد تميز حديث الدكتور عدنان مروة والذي ألقاه باسمه الدكتور جان مراد بالجدية والمسؤولية . فوزارة العمل والشؤون الاجتماعية ووزارة الصحة مرتبطتان ارتباطا وثيقا بحياة المرأة وبخاصة تلك التي انخرطت في عملية التنمية والانتاج الوطني . وفي قوله : « ... المسألة الاجتماعية منذ كانت ام الثورات والحروب .. » . وضع الوزير مروة الاصبع على الجرح ، ولم يكتف بالكلام الفلسفي بل اشار وبدون تبجح بانه « ... كانت لدينا محاولات بدائية وفوضوية في مختلف انواع التنميات اقتصادية وصحية وتربوية واجتماعية ، وحتى علاقات دولية .. تم رأينا ما آلت اليه في غياب القرارات السياسية لكل منها ، وفي غياب السياسة العامة التي تحكم وتوجه كل السياسات . ويستطرد قائلا « ... اذن فان حجم التنمية الاجتماعية يجب أن يكون بحجم مغامرة الانقاذ ، وان حجم دور المواطنة اللبنانية يجب ان يتقارب من مستويات الحجمين معا. ولهذا نجد انفسنا ملزمين بتحديد مفهومنا للتنمية ، تحديدا موجزا للغاية كي نحدد بالتالي دور او ادوار المرأة في مجالات التنمية ... » .

وقد حدد الدكتور مروة التنمية الاجتماعية في لبنان بالحقائق التالية :

« ... اولا : انهما صورة فلسفية فكرية باعتبارها موقفا في حياة الدولة والمواطن والمجتمع .

ثانيا : ولانها كذلك فهي تهدف الى العدالة الاجتماعية ، والى المزيد من الخدمات والضمانات للقوى المنتجة ، مع الابقاء على القطاع الخاص ، والملكية الفردية .

ثالثا : وهي لا تستطيع الوفاء بالتزاماتها الا اذا منحت تشريعات تنظيمية تعطيها مقدرة وظيفية في عمليات التطور الاجتماعي والاقتصادي .. وحتى لا تتحول هذه العمليات آلى وسيلة من وسائل الطغيان السياسي ، ولا تتجه لخلق طبقات متبطلة تعيش على عرق الاخرين ، وتكون سببا من اسباب التوتر الاجتماعي ، والفساد السياسي والاقتصادي معا .

رابعا : ان تعطى كل الامكانات كي تقارن معدلات تزايد السكان والانتاج ، فالمجتمع الذي يتزايد فيه معدل سكانه باكثر مما يتزايد معدل الانتاج ، مجتمع ينهش من لحمه ، اي يبتلع معادلات تنميته .

خامسا : واخيرا ، يبقى ان نفهم ، ان تنمية من هذا النوع ، هي ذات طابع قومي ، لا تستطيع الدولة ان تتبناها وحدها ، ولا تستطيع النخبة ان تشرف عليها وحدها ، ولانها كذلك فهي عملية قومية ، تطلب اقتناع جميع الناس بها ، ومشاركة جميع الفئات في الاقبال عليها ، ومن ثم الاسهام في تطويرها وتأكيد نجاحها ... » .

ولفت الدكتور مروة الى التحديات التي لا حصر لها والتي تواجهها المؤسسات العاملة

في الميدان الاجتماعي . وعند رسم خطوط مواجهة هذه التحديات اعطى الاولوية لمكافحة الامية وأورد ارقام احصاء العام ١٩٧٤ الذي جاء كما يلي :

« ... بلغت نسبة الامية في بيروت وضواحيها بين الاناث ٢٥،٧ بالماية وفي جبل لبنان ٣١،٩ بالماية وفي شمالي لبنان ٤٨،١ بالماية وفي البقاع ٤٧ بالماية وفي الجنوب ٤٩،٨ بالماية ، أي ان اكثر من ثلث الفتيات والامهات من تعداد السكان هن من الاميات. فكيف يمكن اثارة وعيهن حول فوائد التنمية الاجتماعية ، وكيف يمكن اشراكهن في برامج التنمية ... » .

صحيح ان آفة الامية التي ما زالت ظاهرة غير طبيعية في بلد يصنف نفسه منارة للعلم ، خاصة ونحن نستشرف القرن الواحد والعشرين ، « يجب اعداد جواب منذ اليوم » ، على حد تعبير الدكتور مروة . والسؤال كيف يمكن اشراك الاميات في برامج التنمية صحيح ، أما « كيف يمكن اثارة وعيهن حول فوائد التنمية الاجتماعية » . فهذا سؤال نتوقف عنده قليلا لان اثارة الوعي لا تقتصر فقط على الاميات بل في نظري انها ضرورية ايضا لعدد كبير من صاحبات الشهادات العليا اللواتي يحصلن على شهاداتهن فقط للتدليل عن كونهن من فئة المثقفات . وهيهات بين ان تكون الواحدة متعلمة وان تكون مثقفة .

وعن رأيي في دور المواطنة داخل المجتمع يقول الدكتور مروة « ... من هذه الناحية يجب ان نلغي من تفكيرنا ما اصطلح على تسميته بعلم الاجتماع الباطني ؛ اي ان ننظر الى المجتمع ، فنأخذ ما يحلو لنا من خارجه مهملين ما يهدر فيه من الداخل . ففي مغامرة الانقاذ تتداعى الصالونات الاجتماعية ، وفي مهب التنمية الاجتماعية تتهالك الوجاهة الاجتماعية ... » .

والتنمية الاجتماعية اعتبرها الدكتور عدنان مروة ، ضربا من ضروب التحديات التي تواجه المرأة والدولة معا .

وفي ضوء تصوره لدور الدولة يقول معالي الوزير « ... بالطبع لا تستطيع الدولة بقدرة قادر ، وباختزال سريع للزمن ، ان تجترح المعجزات ... » . ويستطرد معاليه قائلا : « .. ان الدولة لا تستطيع ان تجعل من كل النساء طبيبات وممرضات واخصائيات بعلم النفس ، ومتخصصات بالعمل والارشاد الاجتماعي .. » .

لا اعتقد ان احدا من المواطنين طلب من الدولة ان تصنع منه طبيبا او اخصائيا . ان ما يطلبه المواطنون من الدولة هو ان تؤمن مدارس كافية لاستيعاب الاولاد وان تؤمن القرطاسية والكتب باسعار معقولة ان لم تكن مجانية وان تهتم في المناطق وتنشىء فيها فروعا للجامعة اللبنانية وان تستكمل كليات الاختصاص وبخاصة كلية الطب ليتسنى لمن يرغب من الطلاب ، بغض النظر عن وضعه الاجتماعي ، ان يلتحق بالكلية التي يريدها . ان الدولة ليست مسؤولة عن الفاشلين من الطلاب ، فبعد ان تتوفر كل شروط التخصص والتعلم يصبح كل مواطن مسؤولا عن عمله ، عن نجاحه او فشله .

ومهمة ايضا اشارة الدكتور مروة حول دور الدولة في اثارة الوعي لخلق الثقافة الصحية لتجنب الداء . لكن الوعي وحده لا يكفي في هذا المجال اذ على الدولة تأمين التطبيب المجاني ووضع حد لاحتكار الدواء ومعاقبة المتاجرين بصحة المواطنين وحياتهم .

تحضرني تلك القصة التي تحكي عن رجل مرض جمله بداء الجرب . فطلع الى أعلى قمة ليكون قريبا من الخيمة الزرقاء وفتح يديه مستنجدا بالرب قائلا : اسألك يا ربي ان تشفي لي جملي . ومكث على هذه الحال عدة أيام ، فلاحظه احد المتنورين وقرر مساعدته بدون ان يعلم . فاختبأ وراء القمة . وعندما جاء صاحبنا ، ردد صلاته بخشوع وبكى بكاء مرا لان ربه لا يستجيب الى تضرعاته ولان جمله ما زال مريضا . وقبل ان يعود ادراجه سمع صوتا يقول له : يا بني لقد استمعت الى صلواتك وها انا استجيب لطلبك ولكن عليك ان تغسل جملك بالقطران . فالصلاة والقطران كفيلان باعادة الجمل الى حالته الصحية .

وهكذا عندما تمتزج الثقافة الصحية بالتأمينات الصحية نكون قد قضينا على الداء وانتصرت الصحة .

• • •

العمل الانقاذي اليوم ، ليس بحاجة الى رخصة عمل واجازة مرور

« من يوم كنا تلاميذ على مقاعد الدراسة ، عرفوا لنا الغزل بانه الحديث الى المرأة وعنها »

هكذا اراد معالي وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة ، ان يستهل كلمته عن « المرأة في مغامرة الانقاذ » .

وبعد ان يعدد معاليه مزايا المرأة الانثى وخوفا من خلط الاوراق وتبديل المهمات ، فتأخذ المرأة مكان الرجل ، يؤكد الوزير رأيه بالقول : « ... وهنا لا بد لي من القول ، وباقتناع تام : دور المرأة العظيم هو ان تبقى امرأة ، لا ان تصبح رجلا ، نحن بحاجة اليها ، امرأة ، أنثى ، ينبوع عاطفة ، لمسة حنان ، ضميرا حيا ، صلاة قداسة .. » .

وبعد ان يقول الوزير خوري بصراحته المعهودة : « ... لا يمكن لاحد ، ولا للدولة ، ان يشرك المرأة في مغامرة الانقاذ ان لم تكن هي ، صاحبة الارادة في الاشتراك ومؤهلة لذلك ... » .

ونحن مع معاليه مئة بالمئة في قوله ان : « ... العمل الانقاذي اليوم ، ليس بحاجة الى رخصة عمل واجازة مرور . انه الواجب البديهي على كل مواطن ، دون تمييز ، وأي امتناع عن القيام بهذا الواجب ، أو اهمال ، أو تباطؤ ، انما يتخذ في هذه الظروف ، معنى الشر والجريمة ... » .

ويؤكد معاليه بصفته وزيرا للتربية الوطنية ، ان « ... لا تمييز على الاطلاق ، في القوانين التربوية بين الرجل والمرأة ، اللهم الا فيما يعود لمصلحة المرأة ... » .

ويثبت معاليه هذا القول بالارقام والاحصاءات ، لكنه لم يشر معاليه اثناء حديثه الى نسبة الامية المتفشية بين النساء بصورة خاصة واسبابها وكيفية معالجتها . لقد كانت كلمة معاليه ، رقيقة ، ناعمة ، كنعومة الانثى ، التي يخشى عليها ان تتحول الى رجل .

• • •

استنتاج

لقد حقق المؤتمر ، في اعتقادي ، نجاحا معنويا كبيرا . وذلك لاسباب عدة :

اولا ـ لانه أول نشاط شامل يقوم به المجلس النسائي اللبناني ، بعد ثماني سنوات حرب .

ثانيا ـ لانه تجلت في هذا المؤتمر وحدة النساء اللبنانيات التي رغم الظروف التي باعدت فيما بينهن ، ولكنها لم تتجزأ قط .

ثالثا ـ لان المناقشات والتوصيات الصادرة عن المؤتمر قد أظهرت ان المرأة اللبنانية على اختلاف الجهة التي تنتمي اليها ، تحتكم في نهاية المطاف الى المنطق والعقل والمصلحة العامة .

رابعا ـ لانه قد تأكدت حقيقة هامة ، هي ان الكثير ، الذي يجمع بين اللبنانيين ، كفيل ان يقضي على القليل الذي يفرق فيما بينهم .

اما الثغرات التي برزت في المؤتمر كان بالامكان تلافيها لو درست بصورة افضل الناحية التنظيمية .

توصيات المؤتمر لم تأت بجديد . فقد توافقت مع ما سبقها من مؤتمرات وبالتحديد مع ما صدر عن مؤتمر « ميثاق حقوق المرأة اللبنانية » . علما بان شعار المؤتمر يستدعي التصاقا بالمستجدات اليومية التي تولدها ظروف الاحتلال التي يرزح تحت وطأتها الوطن . وهذه الظروف ، جديدها ، يومي .

انما المؤتمر تطرق اكثر ما تطرق الى حقوق المرأة . وماذا يمكن ان يستجد على هذا الصعيد . في الوقت الذي ما زلنا فيه نراوح مكاننا ، منذ ان حققت المرأة اللبنانية مكسبها القانوني اليتيم ، في حق الترشيح والانتخاب .

ان « المؤتمر » في رأيي ، عمل مرادف لل « تشخيص العام » . عند اجراء معاينة طبية شاملة ، يشخص الاختصاصيون الحالة الصحية ، ويحددون مواضع الخلل التي ان لم تعالج تسبب خطرا على الحياة .

وهكذا « المؤتمر » يكشف عن امراضنا الاجتماعية ويقترح المؤتمرون علاجا لها (التوصيات) . ان لم نتبع اسلوبا صحيحا في علاجها وان لم نسع بجدية للتخلص منها ، تبقى مؤتمراتنا عقيمة لا فائدة منها .

■

المرأة... والثورة المطلوبة

« المرأة تعيش ثورتها على الورق
« ولا تقبل ان تكون شهيدة »
(نزار قباني)

مذ وجد الانسان ، كان الصراع مع عوامل الحياة الطبيعية (العواصف، والزلازل ، والفيضانات) . والحيوانية (الاقوى منه جسديا وكان البقاء للافضل فخرج الانسان منتصرا وبقي جنسه . وكانت حروب واخضاع شعوب لكن المعركة التي انتهت ظاهريا في مدة من الحياة وما تزال نيرانها تحت الرماد . فهي القضاء على حرية المرأة وسلبها في المشاركة وعلى قدم المساواة مع الرجل .

لذلك فاني أدعو المرأة الى ثورة تتخطى الكلام لتصل الى جوهر الحياة، وكلي ثورة حق فهي بحاجة الى معرفة من خلال ثلاثة عناوين رئيسية :

١ ـ معرفة امكانية الذات .
٢ ـ النظرة الثاقبة للمجتمع التقليدي .
٣ ـ الوسائل الكفيلة بانجاح ثورة المرأة .

« ومعرفة الذات ـ كما نعلم ـ هي
« أهم وسيلة لتحرير الانسان من الرواسب
«والاشكالات التي تعرقل النمو والشخصية»
(د. غسان يعقوب) (١)

١ ـ معرفة امكانية الذات .

من أولى مهام المرأة للانطلاق الصحيح ، هو في معرفة القدرة الذاتية لها لان التربية الشرطية قد حجبت عن المرأة رؤية داخليتها الخلاقة لذلك فهي بحاجة الى استشفاف ما تملك .

أ ـ تركيب المرأة الفيزيولوجي :

ان بناء المرأة الفيزيولوجي يجعلها أقوى على التحمل من الرجل ، بسبب تركيبتها التي اعتبره علماء الانتروبولوجيا أقوى وبسبب الممارسة العملية في الحياة ، نجد المرأة تتكون من / ٢٢ / زوجا من الكروموسومات + كروموسومين متشابهين (xx) اما الرجل فيحمل / ٢٢ / زوجا من الكروموسومات + كروموسومين (xY) وتقول د. نوال السعداوي « ان الجنين في بداية تكوينه لا يكون مزدوج الجنس (أو خنثى) ولكنه يكون أنثى ، وان اعضاء الجنين الانثوية لا تتشكل لتصبح ذكرية الا بعد تأثر الهرمونات الذكرية (٢) ». ومن نقاط تفوق المرأة في التركيب الفيزيولوجي اذ ان « اخصاء الغلام يظهر التخنث في شكله الخارجي وتصرفاته ، أما اخصاء الفتاة (نزع المبيضين) فيعرض تطورها للتوقف في مرحلة طفلية او فتية دون ان يكون هناك استرجال ما (٣) . وان القول بضعف المرأة فلا تتمكن من القيام باعمال معينة فهو ادعاء

يرفضه الواقع الذي يرينا ان عمر المرأة يفوق بنحو عشر سنوات عمر الرجل في حده الاقصى وخمس في حده الادنى ، واثبتت الاختبارات ان المرأة العاملة يكون عمرها أطول من المرأة غير العاملة .

ب ـ تركيب المرأة الفكري والنفسي :

ان مساواة المرأة مع الرجل في التشريح الدماغي ليست بحاجة الى الاثباتات لقدرة المرأة على القيام بكل الاعمال ودونما استثناء ـ وان كانت بنسب ضئيلة وذلك بسبب التشريط منذ أمد طويل وسأعود للحديث عنه لاحقا ـ ان قدرتها هذه تدفعنا للاستنتاج «ان ذات الامكانية تؤدي لذات الاعمال » . وقد جاء في تقارير مؤتمر للشرطة عقد في مدينة « مينسنير » بالمانيا ما يلي : « ... ومن الناحية النفسية ، لا تقل المرأة كفاءة عن الرجل في القيام باعمال الشرطة الاخرى . بل قد تتفوق عليه ، وتتابع المجلة : انها أقدر على التعامل مع المواقف الصعبة » (٤) .

لقد أردت الايجاز في موضوع امكانات المرأة لضخامة الموضوع وعدم التمكن من ايفائه حقه في البحث على صفحات هذه المجلة لضيق المجال المخصص . ان امكانات المرأة الجسدية والفكرية مغطاة بالتقاليد البالية والمتراكمة منذ آلاف السنين والتشريط الاجتماعي يحد من دورها الطبيعي في المشاركة بكل مجالات الحياة وبمساواة تامة في الفرص المتاحة مع الرجل ، ان الاساطير التي رسخت زعامة الرجل في قيادة التطور، هي نفسها التي اعتبرت المرأة (الجنس الاضعف) الذي يحتاج للرعاية الدائمة من الرجل ، وان دورها لا يتعدى السلبية أو في أفضل الحالات تقبل الامور كما هي وتكون منفعلة بالاحداث .

ان دور المرأة المطلوب يدفعها الى اكتشاف تاريخ الحياة من اسطورة الخلق الى الحاضر المعاش ، لان معرفتها للحقائق عن ماضيها ـ بايجابياته وسلبياته ـ يقودها للقيام بالثورة المطلوبة .

٢ ـ النظرة الثاقبة للمجتمع التقليدي .

« ليست المرأة امرأة بالولادة »
« ولكن بالصيرورة » .

(سيمون دي بوفوار)

ان دراسة وافية للمجتمع تدفعنا لتقسيم مراحل تطور حياة المرأة في التاريخ الى قسمين قبل نشوء « العائلة » وبعدها . لقد مرت المرأة بعصر ذهبي دعي « العصر الاموي » حيث كانت المرأة تقود العالم وتختار وترفض وتحكم بارادتها الكلية ولها الحق في طرد الرجل الذي لا ينجب .

ولا تزال بعض القبائل الى يومنا هذا تعيش « العصر الاموي » في قبيلة (ايمبا) شرق افريقيا ، وفي اوغندا وداهومي وغيرها (٥) ، ويختلف علماء الانتروبولوجيا والاتنولوجيا في تحديد عدد السنوات التي حكمت فيها المرأة ، أما عن كيفية حصول الانقلاب الذي اطاح بسيطرة المرأة فمرده الى « ان الرجل ظل يتطور ويقوى من اجل ان تختاره المرأة ، الى ان اكتسب قوة كافية استطاع بها ان ترتكب اول حادث اغتصاب في التاريخ البشري » (٦) . وكان لاقامة نظام « العائلة » وهي كلمة لاتينية تعني « الخدم والعبيد » ، لكي تديم سيطرة الرجل وكان تعدد الزوجات والمعايشة أزواجا منفردة ، وكل من الشكلين لا يجيز سوى زوج واحد (٧) .

وبما ان المرأة كانت تشبه الارض وتميزها عن الرجل بالقدرة على انجاب الحياة ، كالارض تماما التي تنبت الخير ، فاخترع الرجل اسطورة الخلق ليقول للمرأة انها اخذت منه . وما هذا الا نتيجة للغيرة الدفينة . وتحدثنا عالمة النفس « كارين هورني » (انها دهشت حين كانت تفحص رجالا نفسيا وتكتشف تلك الغيرة الدفينة من قدرة المرأة على الحمل والولادة والامومة ووجود الثديين والقدرة على الارضاع) (٨) .

وقال آدم في التوراة « هذه الان عظم من عظامي ولحم من لحمي ، هذه تدعى آمرأة لانها من امرأة اخذت » (٩) . وسنرى لاحقا كيف تتابعت هذه الصورة في الاديان الاخرى اللاحقة . ويخبرنا العهد القديم عن خطيئة حواء بدفعها آدم ليأكل معها من شجرة معرفة الخير والشر ، وقد قاصص الرب ـ حسب الحكاية ـ آدم وحواء ، وقال لحواء « تكثيرا أكثر اتعاب حملك ، بالوجع تلدين اولادا والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » . وقال لآدم « لانك سمعت قول امرأتك وأكلت من الشجرة ... ملعونة الارض بسببك .. بعرق جبينك تأكل خبزا » (١٠) . واستعملت هذه الآيات للدلالة على ان الرب من عليائه قد خط طريقا من الواجب على المرأة والرجل ان يسيرا عليه، والا يكونا قد خرجا على طاعة الرب . فالمرأة تلد بالوجع لانها أغرت آدم ولا تشتاق الا لرجلها الذي يجب عليه ان يكون سيدا عليها، وفرض العمل على الرجل ليأكل ويطعم عائلته من عرق وجهه . ولم تنحصر « جريمة » حواء بها او باولادها فقط بل حملت الخطيئة نساء الارض جميعهن ، ووضعت المرأة في مرتبة متدنية ، وقد جاء ترتيبها في العهد القديم من ضمن متاع الرجل « لا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئا مما لقريبك » (خروج ٢٠ / ١٧) .

وبقيت المرأة تتحمل وزر خطيئة لم ترتكبها حتى أتت المسيحية ، فازالت بعض ما لحق بالمرأة من ظلم ، والغى السيد المسيح كل تمييز بين طبقات الشعب وانصف المرأة من وجوه عدة فجاء في اعمال الرسل « فانكم وان اعتمدتم جميعا في المسيح فلم يبق من بعد ... عبد او حر ، ذكر وانثى : غلاطية ٣ / ٢١ » . واوجب المساواة في المعاملة وهذا ما خاطب الذين أتوه بالمرأة التي أخذت بزني ورفض الحكم عليها « من كان منكم بلا خطيئة فليتقدم ويرمها بحجر » (يوحنا ٨ / ٨) . واضاف السيد المسيح « وانا لا احكم عليك » (يوحنا ٨ / ١١) . هذا البعض من تعاليم المسيحية الاولى بخصوص المرأة ، لكن القديس بولس وهو الحاخام اليهودي المهتدي الى الدين المسيحي مزج بين ما بقي راسخا بعقله من العهد القديم عن المرأة التابع للرجل مع التعاليم المسيحية ايام السيد المسيح ، وحدد للمرأة المرتبة

الثانية بعد الرجل ، قال « أما الرجل فما عليه ان يعتمر لانه صورة الله وشعاعه ، واما المرأة فهي شعاع الرجل فليس الرجل من المرأة بل المرأة من الرجل ولم يخلق الرجل من اجل المرأة ، بل خلقت المرأة من اجل الرجل » (فورنتس الاولى ١١ / ٧ و٨ و٩) فنرى التطابق بين اسطورة الخلق في العهد القديم وبين ما يذكره القديس بولس وهو يذكر المرأة بانها من ضلع الرجل ويجب ان تتبعه لانها ظله ، لكن القديس بولس يستدرك في آيات لاحقة ملطفا عنف كلماته فيقول : « الا انه لا تكون المرأة في الرب بلا الرجل ولا الرجل بلا المرأة فاذا كانت المرأة أستلت من الرجل فالرجل تلده المرأة » (فورنتس الاولى ١١ / ١١ و ١٢) .

ورغم هذه السلبيات التي حدت من حرية المرأة ، الا ان المسيحية وخلافا لليهودية التي انتشر فيها تعدد الزوجات بغير حد ك « سليمان وله سبعمائة من النساء السيدات وثلاثماية من السراري » (الملوك الاول ١١ / ٣) . فان المسيحية حرمت الطلاق وقضت بالزواج بواحدة فقط « لا يفرقن الانسان ما جمعه الله » (متى ١٩ / ٦) ، « ومن طلق امرأته وتزوج غيرها زنى ، ومن تزوج التي طلقها زوجها زنى » (لوقا ١٦ / ١٨) .

وكان لاختلاف رجال الدين المسيحي قديما أثره الفعال في ايجاد شيع ومذاهب تنفصل عن المسيحية واليهودية وتعود تدريجيا الى عبادة الاصنام ، وهذا ما كان سائدا ايضا في شبه الجزيرة العربية بالاضافة الى ظاهرة تحول من العصر الاموي الى العصر الابوي ، وكما تقول د. نوال السعداوي «ان المجتمعات التي دعيت « بالجاهلية » كانت تمثل نوعا من المجتمعات التي تشهد النظامين الاموي والابوي وكيف كان هذا النظام الاموي ينقرض » (١١) .

وكانت مجتمعات النظام الابوي تخضع لظاهرة تعسف بحق البنت بوأدها ومن تبريراته غير الواقعية « بان سبب الوأد هو تخلي احدى الفتيات عن قبيلتها حبا بآسرها ، فكان كل سيد تلد له فتاة يئدها خوفا من « سوء الاحدوثة والفضيحة» (١٢). وكانت عادة وأد النساء معروفة في بعض القبائل العربية « كربيعة وكنده وتميم ».. (بلوغ الارب ٣ / ٤٢) .

وقد طالت الشدة المرأة الحرة أكثر من الامة فالعبودية تؤدي الى تخفيف الضوابط عنها « فالامة لم تكن لتخجل من ممارسة الزنا » (١٣) .

اما المجتمعات العربية الاخرى حيث كانت أنظمة الحياة اموية ، « فكان لوجود الآلهات الاناث « كالات » و « العزى » انعكاسا لارتفاع مكانة المرأة في تلك القبائل العربية وانعكاسا للمجتمع الاموي الذي كان موجودا عند بعض القبائل في ذلك الوقت » (١٤) . وكان تعدد الازواج موجودا في هذه القبائل ويدعى زواج « المشاركة » على ان لا يزيدوا عن عشرة رجال ، وفي حديث للسيدة عائشة « ان يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة فيعيبونها ، فاذا وضعت ترسل اليهم فلا يستطيع احدمنهم ان يمتنع» (١٥).

وبقي المجتمع العربي يتحول نحو النظام الابوي ، حتى جاء النبي بدعوته ، فاعاد للمرأة بعض ما سلب منها وكرس النظام الابوي ، وازالت الدعوة المحمدية عادة وأد النساء « واذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت» (التكوير ٨ و ٩) . « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ام يدسه في التراب، الا ساء ما يحكمون» (النحل ٥٨ و ٥٩) . ان هذه الآية تظهر حالة الرجل – قبل الاسلام – عندما كانت تولد له بنت فيهيم على وجهه خوفا من الفضيحة والعار فيأدها وان كان « كريم الاخلاق » كان يبقيها حية على مضض ، ولقد أرجعت للمرأة كرامتها بالحفاظ على حياتها أو لجهة معاملة الزوجة بالمعروف «وعاشروهن بالمعروف » (النساء ١٩) . وحدد الاسلام عدد الزوجات للرجل واشترط العدل بينهن والا فيجب الاكتفاء بواحدة « انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » (النساء ٣) . لكن القرآن يحدثنا عن عدم امكانية العدل بين النساء ، ربما بسبب عدم استطاعة الرجل تقسيم عاطفته ويعدل بين اكثر من امرأة « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرمتم » (النساء ١٢٩) .

ولقد كرس القرآن الكريم سيطرة الرجل على المرأة واكد قوامته على النساء « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من أموالهم » (النساء

٣٤) . واعطى القرآن الكريم النساء نصف حصة الرجل في الميراث « للذكر مثل حظ الاثنين » (النساء ١١) . واعتبرت المرأة غير كفؤة لوحدها للشهادة في المحاكم ، فهي بحاجة الى اخرى لتذكر احداهن الاخرى « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى » (البقرة ٢٨٢) . وقد حدد ائمة الدين المحمدي جسد المرأة وكله عورة تقريبا ، واما الرجل والآمة فبعضهما القليل عورة « وعورة الرجل والامة ، ما بين السرة الى الركبة وعورة المرأة الحرة جميع جسدها الا الوجه واليدين الى الكوعين » (١٦) . وهنا تمييز واضح بين الآمة والحرة باعتبارهما من جنس حواء وتعامل الآمة بنسبة الرجل تماما والحرة بضغط شديد ، مع ايماني بان الاحتشام يجب ان يطال الرجل والمرأة على حد سواء . أصل الى التأكيد بان القرآن قد اعاد للمرأة بعض حقوقها ، فكان كبيرا وواضحا ، ووضع لها مكانة افضل مما كان سائدا في بعض القبائل العربية ، لكنه ثبت مع الاديان السابقة فكرة تفوق الرجل ووضع نهاية للعصر الذهبي الذي مرت به المرأة ، عنيت « المرحلة الاموية » .

بعد ان استعرضت ـ وبايجاز نسبي ـ مراحل حياة المرأة قبل الاديان واثناءها ، وما كان لفعل رجال الدين والقيمين على الايمان من استغلال لبعض الفقرات القليلة من الكتب الدينية . واستعملت تلك الفقرات لاضعاف قدرة المرأة وجعلها آداة سلبية في يد الرجل تتلقى الاوامر وتنفذها دون ارادة حرة لها ، لكن تطور البشرية فتح نافذة صغيرة للمرأة لكي تدخل من خلاله ميدان العمل بقوة ، وذلك عندما حدثت الثورة الصناعية في اوروبا ، فانخرطت في العمل لمساعدة زوجها أو والدها أو افراد عائلتها ، وكانت اعمال الرجال قد تعطلت تقريبا ، بسبب اختراع الآلة في الصناعة وبسبب اجر الرجل المرتفع بالنسبة لما فرض للمرأة من اجر زهيد ، لكنها رغم الصعوبات والاستغلال الطبقي الذي تعرضت له والتي تحملته بشجاعة أثبتت كفاءتها في العمل ، وعندما اشتد ساعدها ووجدت التجمعات النسائية ، حصلت على حقوقها لجهة مساواتها في الآجر مع الرجل لذات العمل لكنها ما زالت مستغلة بطريقة حديثة وبوجوه عدة الى يومنا هذا . أما المرأة في المنطقة العربية فانها تتخبط في التجهيل التي فرضته التقاليد البالية ، وكان أكثر عملها محصورا في الزراعة باجر رمزي تقريبا .

ان تغييب المرأة عن مراكز الفعل في الحياة وتشييء جسدها بجعلها فتنة أو دمية يضعها الرجل في فترينته ، يلبسها ما يريد ويلقنها ما يشاء ، ان هذا الاستغلال للمرأة يجب ان يكون المحرض الكبير لها للتساؤل عن سبب ما يحصل لها ، فاما ان تصل الى جواب « الخلاص من عبودية الخضوع الدائم للرجل بثورة تحطم لتبني المجتمع المتكافىء واما السكوت فتكون مستحقة لعبوديتها .

٣ ـ الوسائل الكفيلة بانجاح ثورة المرأة .

«لو كان الرجل حرا لما احتاجت المرأة الى مطالبته بحريتها لان الحر لا يستأسر بحرية احد » .

(ميخائيل نعيمة) (١٧)

ان النضالات التي قامت بها المرأة عبر التاريخ ، واختراقها الحجب الموضوعة باحكام امام عقلها وخلفه ، هو نضال برز في كثير من الاحيان وهو ما يدفعنا لمطالبتها بثورة تحرر الجميع ، ولا تنتظر المرأة ان يأتيها الرجل بحريتها على طبق من فضة والرجل كما المرأة مستغل في كافة المجتمعات ما عدا القليل منها ـ وقد قادت المرأة الكثير من البلدان واستلمت الحكم ـ وملاحظة هنا هي ان الاكثرية الساحقة من النساء اللواتي حكمن قد اعطين المثل الحقيقي لما سيكون عليه مجتمع تشارك فيه ـ . لكن رغم عطاء المرأة الكبير فقد كان أشبه بظاهرة تمر وتنتهي مع تركها المسؤولية في الحكم ، اذ ان التغيير لم يحمل من القاعدة ، أي ان ثورة التغيير يجب أن تنبع من جماهير النساء ، من القاعدة . والمجتمعات الوحيدة تقريبا في عالمنا المعاصر التي تنعم فيه المرأة بالمساواة الحقيقية والسلام والعدل هي في مجتمعات الدول السكندنافية (اسوج ، النروج ،

والدانمرك) ، ووصلت المرأة في هذه الدول الى أعلى مراتب الدولة، وصلت الى المشاركة في التقرير والتنفيذ والعمل . واما الدول التي تشارك فيها المرأة بالعمل ومن القاعدة وبصورة عادلة مع الرجل ، فهي في الدول الاشتراكية ، لكنها لم تصل بعد الى القيادة في أي من هذه الدول، وقد حصرت المساواة في دول اخرى ـ وهي اكثر العالم ـ ومن الدول المتخلفة او النامية ـ حصرت في معركة لتغيير النصوص المجحفة بحق المرأة ، لكنها رغم التقدم في التشريعات ما تزال محصورة بتغيير على الورق ـ بصورة عامة ـ .

لكن المرأة وقد مارست العمل في كل المجالات دونما استثناء ، واقتحمت جميع الاعمال التي كانت تعتبر ـ لفترة زمنية غير بعيدة ـ من اختصاص الرجل ، دخلت ميدان الجندية وقاتلت ، واشتركت في أصعب واقسى ما في الرياضة من العاب ، لعبت المصارعة ، وكمال الاجسام والملاكمة ، حتى مصارعة الثيران ، وحاملة اثقال ، ولاعبة كرة قدم ، وفي مجال اطفاء الحرائق .

ان هذه العجالة لا تعطينا صورة تفصيلية عن قدرة المرأة وامكاناتها التي لم تعرف استغلالها بطريقة صحيحة ، فرغم ان جيش النساء الفاعلات في الحياة في تطورها يزداد ويكبر ، فان قضية المرأة ما زالت في القماط، ولم تر النور ، فاين الخطأ ، لتبقى في زاوية الحياة عمليا ؟ وجميعنا نتحدث عن دور المرأة في حياتنا ، ولكن من منظار ، الام الحنون ، والاخت المحبة ، والزوجة المخلصة ، وعن فضلهن علينا ، وان « وراء كل عظيم امرأة » و « الام مدرسة اذا اعددتها اعددت شعبا طيب الاعراق » وكلام كثير يدغدغ المشاعر فقط ، لكن الخطأ في ان المرأة لم تستعمل امكاناتها ، ورضيت البقاء خلف الاعمال فالمطلوب البروز الى ساحة العمل بفعالية واضحة لتحصل على مجتمع متكافىء الفرص لكل ابنائه .

ويأتي هنا دور الجمعيات النسائية التي تتحول عن القيام بمحاولة ايصال المرأة الى حقوقها ، تتحول الى مجرد اقامة الحفلات وجمع التبرعات ورسم ثورة ولكن على الورق، ومن احاديث لا تتخطى اكثر الاحيان الصالونات الفخمة مع انه ومن أولى واجباتهن اشعال

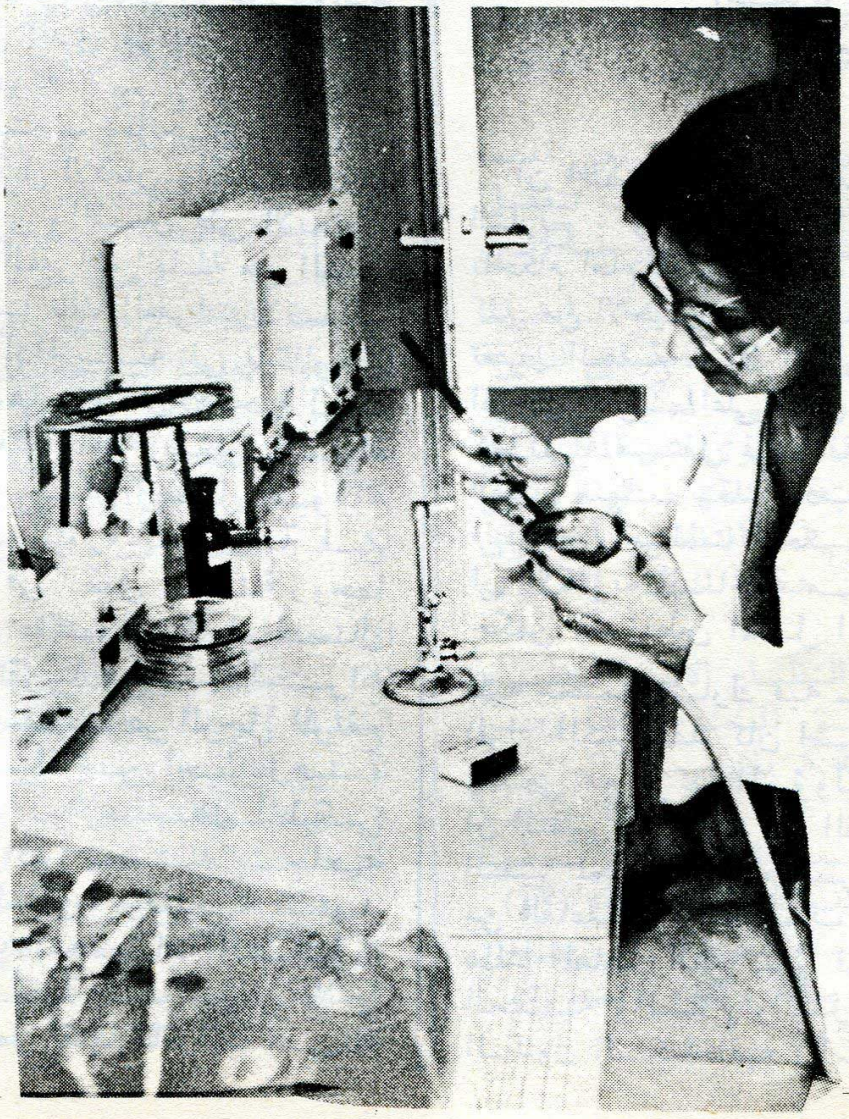

عود ثقاب في التقاليد البالية ليصبح حريقا يطهر النفوس « نساء ورجالا » مما علق بهم من آدران الماضي ومن حضارة مزيفة نعيشها ونظهرها وكأنها التحرر بذاته .

واما « المثقفات » (ان صح التعبير) ، فهن ابعد عن الحرية من غيرهن . وقد قال نزار قباني « لو أردنا ان نطلق الرصاص على المثقفات (والمثقفين ايضا) لما أصاب الرصاص احدا » (١٨) . فواجب المثقفات استغلال جميع امكاناتهن في سبيل قضيتهن التي هي قضية المجتمع ، قضية الحرية للجميع ، لكي لا ترتدي المثقفة ثوب الحرية والمساواة قبل الزواج وتخلعه وترتدي ثوب جدتها اثناء الزواج وبعده ، ومن الاخطار الكبيرة ـ ان لم أقل اكبرها ـ هو بجعلها السجان على قضيتها وتضع ذاتها في السجن وتغلق بيدها القفل. ان جعل المرأة اداة طيعة وناطقة تضحك وتبكي بأمر من السلطان ، وتسخر الوف الادمغة لابتكار وسائل التجميل، والعطورات، والفساتين الجديدة والمتجددة كل يوم واستغلال وسائل الاعلام والاعلانات المضرة بالمرأة ، يجب ان تتحجم كثيرا لتصل الى طموحات المرأة الجديدة في التحرر والمساواة. لكننا نجد اليوم ولا أكون مغاليا ان قلت بان أكثر من ٨٠ ٪ من اهتمامات المرأة تقتل المرأة. وان ظهور ثورة نسائية تجرف الوف العقبات من أمام السلام في العالم وتشارك في تحرير ذاتها وتحرير الرجل ، هو الامل لغد افضل، فقد جربت البشرية حكم الرجال المنفرد والمتسلط ، وحصدنا الحروب والمجاعات والعداوات ، فلنأمل بمجتمع متكافيء الفرص في الحقوق والواجبات لجميع بنيه ، وتكون ثورة المرأة ثورة حق ، وامكاناتها الجبارة « المطمورة » هي الرجاء بانتصار الانسان على الجوع ، والظلم ، والحرب .

وليكن عملنا « حرية المرأة هي الطريق الصحيح لنصل الى رجل حر ومجتمع سليم.

رضوان يعقوب

المراجع

١ ـ د. غسان يعقوب (معرفة الذات والاخر) ١٩٧٨ ، ص ١٣ .

٢ ـ د. نوال السعداوي (الانثى هي الاصل) ١٩٧٤ ، ص ١٠٤ .

٣ ـ اعداد سمير طعمه ، رسالة ماجستير في علم النفس (التربية الفارقية) ١٩٨٠ ، ص ٦١ .

٤ ـ مجلة « الكويت » عدد ٥ شباط ١٩٨١ ، ص ١٤٠ .

٥ ـ د. نوال السعداوي (الانثى هي الاصل) ص ٥٠ .

٦ ـ نفس المصدر ، ص ٥١ .

٧ ـ ف. انجلز (أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة) ، ص ٤٠ .

٨ ـ د. نوال السعداوي (الانثى هي الاصل) ، ص ٩٣ .

٩ ـ الكتاب المقدس ـ التكوين ٢ / ٢٣ .

١٠ ـ نفس المصدر ٣ / ١٦ و١٧ و١٩ .

١١ ـ د. نوال السعداوي (الوجه العاري للمرأة العربية) ١٩٧٧ ، ص ٤١ .

١٢ ـ مجلة الفكر العربي ، ايلول ـ كانون اول ١٩٨٠ ، العددان ١٧ و ١٨ ، ص ١١١ .

١٣ ـ نفس المصدر ، ص ١١٣ .

١٤ ـ د. سعداوي (الوجه العاري للمرأة العربية)، ص ٤٠ .

١٥ ـ ابو فرج الاصفهاني ، (الاغاني) جزء ١٦ ، ص ١٠٢ .

١٦ ـ مجلة الفكر العربي ، ايلول ـ كانون اول ١٩٨٠ ، العددان ١٧ و ١٨ ، ص ١٠٩ .

١٧ ـ ميخائيل نعيمة (المجموعة الكاملة) جزء ٥ ، ص ١٧٨ .

١٨ ـ نزار قباني (المرأة في شعري وفي حياتي)، ١٩٨١ ، ص ٩٢ .

أدب جبران
في ذكراه المئوية
يسمو مع مرور الزمن

كالتحف النادرة ، كلما مر عليها الزمن ازدادت قيمة ، هكذا الاوراق الادبية، كلما قرأت وأعيد قراءتها ، كلما تبلورت واتضح معالم الجمال فيها..

فكما ان نور الغد المشرق اكثر بهاء من نور اليوم الزائل ، فان نور الاقلام الادبية يسمو مع مرور الزمن ويسري في منعطفات الحياة الآتية ...

وقلم جبران في ذكراه المئوية يحفر في ذاكرة أدب أمتنا وتراثها بئرا عميقةفيها الكثير من الخيال الذي لا ينكفىء يفتش عن الاجمل ، ومن الواقع الذي لا يفتىء يبحث عن الاحسن ...

فمن هو جبران خليل جبران ؟

من هو هذا الاديب الثائر المتمرد ، والمفكر الفيلسوف والمصلح الرسول ؟.

فلنبحث مع الباحثين عن هويته ، ولنسأل مؤلفاته وكتبه ولنتركها تجيب .

ولمعرفة من هو جبران ، لا بد من معرفة المؤثرات الداخلية النفسية والخارجية الاجتماعية التي طبعت مؤلفاته بطابع خاص، مميز في جوهره وقالبه .

فحياة العائلة المفككة بين أم تقية ورعة ، وأب قاس ومهمل ، عانى فيها الطفل الاديب من الحرمان والفقر والبؤس ما يعانيه اطفال الطبقات الفقيرة في القرى الاقطاعية ، وما يعانيه اطفال الطموح من السدود والحواجز المفروضة .

فأطل الطفل على حياة الشباب والصبا كما يطل بخجل نور القمر من وراء الغيوم ، وتولد في داخله شعور بالدونية الاجتماعية وتشكل في قرارة نفسه احساس بالنقص حاول الاديب الشاب التغلب عليه من خلال عملية اثبات الذات عند طريق العطاء الادبي والفني .

وانطلق جبران في بداية حياته الادبية انطلاقة السجين الى الحرية فاتحا ذراعيه معانقا الامل والطموح وضاربا بعرض الحائط كل انواع السلطات باشكالها المختلفة ومؤسساتها الكثيرة وتأثيراتها السلبية على الفرد وعلى طموحه وعلى شخصيته . وتمثل رفضه هذا برفضه القاطع والصارم للسلطة الابوية والدينية والاجتماعية والسياسية .

فقد رأى جبران الاب في باكورة اعماله الادبية « يوحنا المجنون » ، رآه انسانا متسلطا وطاغيا ، انانيا بطبعه وفظا بطباعه ، غنيا بفكره واسيرا بتصرفاته ، يعمل من أجل مصلحته الخاصة ولو كانت على حساب مصلحة ولده .

كذلك الامر في « الاجنحة المتكسرة » ، فقد رأى جبران في والد سلمى كرامي رمزا للانسان المادي ، المقتاد فكريا وعمليا ، والمتحكم في حياة ابنته الذي ارتضى طوعا بيعها وتزويجها من ابن أخ « منصور غالب » طمعا بالمال .

فقد عكس جبران صورة ابيه على كل الاباء ، فانعكست مجددا على القارىء الذي وجدها لوحة بالية تحمل اشكالا فظة ووجوها قاسية وقلوبا متحجرة ، لا تعرف معنى للعطاء

■ جوزفين بريشة جبران ■

أو للمحبة .

ولم تخل لوحات جبران من بعض الطابع النقدي الساخر الذي يحمل في طياته طابع الواقعية . ولهذه اللوحات ابعاد مختلفة :

فهي في البعد الاول ترسم شخصيات واقعية يسميها جبران أسماء حية ويعطيها الحركة والحياة لتخلو من طابع « الوهم » الذي يمتاز به السرد القصصي . أما في بعدها الثاني فهي تلقي اضواء على شخصية جبران وسيرة حياته من خلال عملية الحكم على هؤلاء الاشخاص من زاويته الخاصة ورؤيته الذاتية . أما في بعدها الثالث فهي تلقي الاضواء على تقاليد المجتمع ومبادئه ومفاهيمه تجاه العائلة وتكريسها لسلطة الاب .

هذه اللوحات المرسومة بقلم جبران وكلماته الادبية وشخصياته الروائية لم تعتمد على ابراز صورة الاب المتسلط دون سواها ، فالى جانب شخصية الاب ، كان لرجل الدين مركز بارز فيها .

فقد شمل رفض جبران سلطة رجال الدين المسيحي أيضا وبشكل عنيف وقاطع .

ورفض جبران لهذه السلطة ليس وليد انفعال ذاتي أو شخصي فقط ، ولا هو بمجرد رأي لانسان أباح لنفسه تشويه سلطة رجال الدين لمجرد نزوة او رغبة في داخله ، ولا هو برأي لانسان مسيحي أقبل على القيام بفروضه وواجباته الدينية دون التفكير والتعليل والتحليل ، بل هو تعبير عن رفضه لتشويه معالم الدين المسيحي ومبادئه الاساسية وتشويه لتعاليم يسوع الناصري الذي يقوم به رجال الدين .

وبرأي جبران فان الكاهن « هو خائن يعطيه المسيحيون كتابا مقدسا فيجعله شبكة يصطاد بها أموالهم » ... « والكهنة هم من أقاموا ... لمجد اسمائهم كنائس ومعابد كسوها بالحرير المنسوج والذهب المذوب ، وتركوا اجساد الفقراء عارية في الازمنة الباردة » .

ولعل جبران قد تأثر بمذهب الرومنطيقية في قناعته هذا باعتبار ان الله موجود داخل الانسان وليس خارجه ، في قلبه وروحه وعقله وجسده ، وليس هناك من حاجة لاي وسيط بين الانسان وربه .

وكثيرا ما تناولت مؤلفات جبران خيالات باهتة ولرجال المجتمع المتربعين على عرش السلطة السياسية والسلطة الاجتماعية ، فجعل منها صورا لشخصيات تعتمد على اشباع الشهوات والملذات ، لها ميول مادية بحتة ، وذات طباع قاسية وجافة ، وهي في أكثر الاحيان ناقصة وغنية ، متسلطة دون حقد ، وسلبية رغم المعطيات التي تؤهلها للقيام بأدوار فعالة في المجتمع . ففي «الاجنحة المتكسرة » صور جبران شخصية « منصور بك » بانه « مادي كالتراب ، وقاس كالفولاذ ، وطابع كالمقبرة » .

ويمكننا القول بان رفض جبران لجميع أنواع السلطات لم يكن رفضا طفوليا ، ولم تكن ثورته عليها ثورة هدامة ، ولم تكن نظرته اليها نظرة جزئية او ذاتية ، وانما كانت رغبة انسانية تكونت في داخله وتجلت في مؤلفاته برفض كل اشكال الحواجز التي تشكل سدا منيعا وتحول أمام تحقيق انسانية الانسان وتوقه الى معانقة القيم المثالية والمبادىء الروحية ورغبته في ان يكون صورة وانعكاسا للمسيح عبر التاريخ والحياة .

وللحياة نظرة متطورة عند جبران . فهو يرى ان التطور يوصل الى الكمال الذي لا غنى عنه لبلوغ خفايا الظواهر الطبيعية والاجتماعية ولبلوغ خفايا النفس البشرية . ويقول في هذا الصدد : « سر الى الامام ولا تقف البتة ، فالامام هو الكمال » .

وبرأي جبران فان التطور ملازم لطبيعة الانسان ولطبيعة الحياة بشكل عام . فالتطور المادي المتلاحق عبر التاريخ يؤدي بالضرورة الى تطور روحي يفرض وجود الانسب والافضل ، ولا تنطبق هذه النظرية على حياة الافراد والمجتمعات فقط ، بل تنطبق ايضا على جميع الظواهر الطبيعية والكونية . فبالنسبة لجبران ، فان مبدأ التطور مبدأ شمولي يفرض نفسه وهو حتمي لا يمكن تجنبه .

من هنا يمكننا الاستنتاج بان جبران آمن بنظرية داروين « النشوء والارتقاء » . فقد آمن جبران بنظرية التطور وأصل الانواع الواحد التي تفترض وحدة الوجود ووحدة المصير وتحقق بالتالي الوحدة الروحية المنشودة .

والغاية الروحية السامية تتحقق برأي جبران عند طريقة التأمل الداخلي الذاتي والرجوع الى الضمير الفردي ايضا .. فقد عكف جبران على معرفة ذاته وداب على اكتشاف خفاياها لاعتقاده بوجود قوة كامنة في داخلها لا بد من اكتشافها والتعرف عليها ،

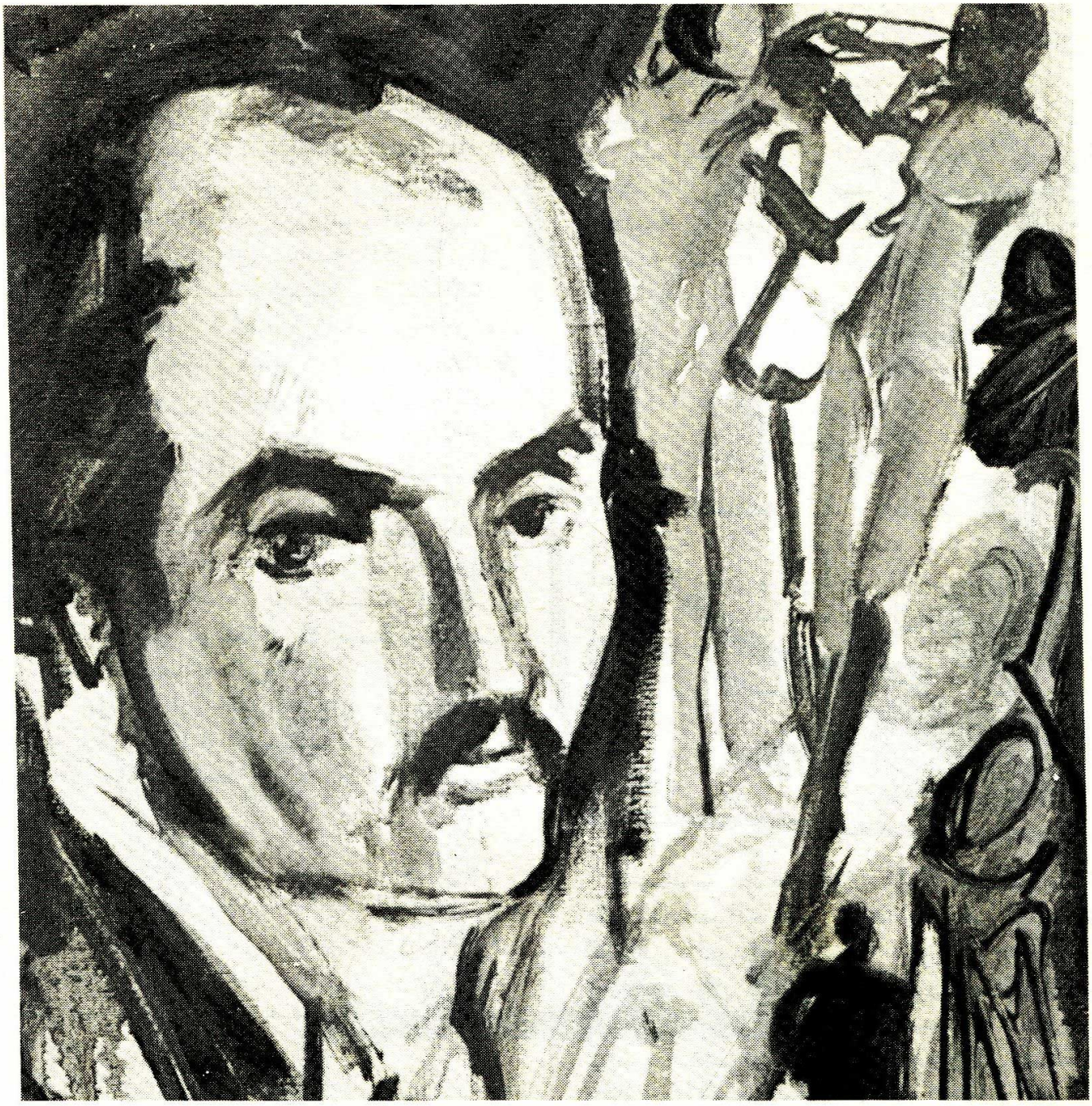

لانها حسب اعتقاده تشكل « الجوهرة النادرة » والكنز « المفقود » الذي لا بد من البحث عنه في كل المجالات وعبر كل الطرق للعثور عليه .

ورأى جبران في الطبيعة احدى أهم الطرق التي على الانسان ان يسلكها ليعبر من الحدود الخارجية الى الداخلية . فالطبيعة من خلق الله ، واقتراب الانسان منها يعني اقتراب الانسان من خالقها ، وبالتالي اتحاده في النظام الكوني الذي يشكل وحدة لا تتجزأ .

ولم تكن ثورة جبران على المجتمع وحبه للطبيعة وللعزلة وللوحدة الا بسبب انحراف المجتمع عن النظام الكوني وانحراف قيمه ومبادئه عن القيم والمبادىء العليا الموجودة في العالم المثالي الذي آمن جبران بوجوده .

وتجلت روحانية جبران في ظاهرتين أساسيتين: ظاهرة التصوف وظاهرة التقمص.

ويكمن التصوف عند جبران في وضعه لنفسه وللانسانية جمعاء ولله موضع تجربة لاستخلاص العبر والحكم .

وقد مر التصوف عند جبران بمراحل كثيرة عرفت المرارة وفندت التناقضات قبل ان يصل الى قناعة فكرية في تكامل العالمين السماوي والارضي والتقائهما ، وفي التقاء الفرد والجماعة . هذا الفرد أصبح « النبي » الذي عاد وبشر بقناعاته ، كما فعل من قبله المتصوفون ، في كتاب النبي ، الذي امتلأ بالدعوة الى المحبة وبالدعوة الى الانسانية . فالمحبة والانسانية تنقحان النفس من شوائبها

وتوصلاها الى النقاوة والطهارة .

وأما التقمص ، فقد آمن به جبران وأكده في كتابه « النبي » . ولم يكن التقمص هدفا بحد ذاته ولم يكن غرضا يحقق المتعة المادية، بل كان وليدا لايمان جبران بضرورة العودة الى الارض لاستقاء المعرفة وبلوغ الكمال .

ولطالما أنشد جبران صفة الكمال التي تمثلت وتجسدت أمام عينه وفي قناعاته والتصقت بشخص « يسوع الناصري » . فقد أراد جبران الاقتداء بيسوع الناصري فاتحد به واصبح يسوع داخل جبران وليس خارجه. فقد كان يسوع رمزا للانسان الكامل، ولم « يكن انسانا تآله ، بل اله تأنسن » .

كان المسيح بالنسبة له رمزا لرفض الظلم والطغيان، وثورة على الخداع والمراباة، وزبدا لالام الانسانية جمعاء . فأصبح الناصري المحرك الاساسي لمؤلفاته الادبية والدليل الساطع لشخصياته الروائية .

هذا هو جبران خليل جبران في تجلياته الفكرية وفي نزعاته الانسانية ، ولكن اين المرأة في مؤلفات جبران ، وماذا مثلت ومن كانت ؟

نظر جبران الى المرأة نظرة شريك الرجل. فاعتبرها النصف المتمم والمكمل للنصف الاخر . فقد كانت المرأة والرجل واحدا في العالم المثالي الذي آمن جبران بوجوده والتقاؤهما على الارض يعيد بناء هذه الوحدة من جديد .

فالمرأة بنظر جبران مساوية للرجل ، ولم ينظر لها نظرة دونية ، بل على العكس ، فقد وجد جبران في المرأة القدرة على العطاء بجميع اشكاله ، وخاصة القدرة على عطاء الحياة .

ولم يستطع جبران ان يفصل المرأة الحبيبة عن المرأة الام . فهاتان الصفتان تتلاقيان في كل امرأة سامية . ولم يستطع النظر الى الثانية دون ان يقرنها بالاولى . ولم يكن جبران يبحث عن المرأة الجسد بل عن المرأة الروح . وتجربته مع ماري هايسكل اكبر دليل على ذلك .

وقد يكون في اساس نظرته هذه الى المرأة نظرة اللاوعي عند الرجل الذي ترسخ في ذهنه عبر الاجيال صورة المرأة ـ الام القادرة على اعطاء الحياة ووهب العاطفة النبيلة والحنان والاستقرار .

هذا الرأي جعله ينظر الى كل امرأة سامية نظرة « الثمرة ـ المحرمة » التي يجب ان لا تمس جسديا » .

ولم ينظر جبران الى كل امرأة الى انها أم فقط ، بل كثيرا ما عمد الى تقديس دور الام وتأليهه . فهو يقول فيها : « ان اعذب ما تحدثه الشفاه العنبرية هو لفظة ام ، واجمل مناداة هي يا أمي » .

حتى ان جبران عكس صورة المرأة ـ الام على كل ظواهر الطبيعة الابدية والطبيعية والامة (الوطن) ، فبرأيه ان « كل شيء في الطبيعة يرمز ويتكلم عن الام » ..

وخلاصة القول ، فقد آمن جبران بالوطن وبالمثل العليا ، ونبذ الطائفية والتفرقة والطبقية (اذا صح التعبير) ، ودعا الى تطوير الاديان والاوطان والمؤسسات واللغات. لتسود الوحدة لدى الشعوب ولتتوحد الاتجاهات والنزعات التي رغب ان تصبو دائما الى الاحسن والى الاعلى .

اعتمدت لجنة حقوق المرأة في مقالها هذا على المحاضرات التي ألقيت في النادي الثقافي العربي بمناسبة مئوية جبران ، وخاصة على محاضرة الدكتورة سعاد حكيم « جبران في مرآة الفكر الصوفي » ، ومتري بولس « جبران بين النشوء والارتقاء » ، وغازي براكس « القصص الجبراني في الميزان السيكولوجي » .

البهائم تفكر في مصيرها

مارون عبود الذي انصهر بالصخر وبالسنديانة والذي صور لوحات رائعة من العلاقة ما بين البيئة الشامخة والمواطن المخلص الصلب فدمج ما بين نبضات الانسان وهواجسه وطموحه وبين الارض التي يلتحم بها ويعيشها . أدبه يشكل تراثا قيما وكنزا جديرا بكل اهتمام . وانتا نختار من كتاب ((احاديث القرية)) حكاية ...

وعاد الثور والحمار لينزربا بعدما انهكهما التعب . كانا تحت النير يحرثان الارض طول النهار ، فما دخلا المزرب حتى ربطهما صاحبهما، وراحا يلحسان ما علق في أرض المعلف من بقايا التبن والهشيم ، ولما لم يظفرا بشيء انبطحا وجها لوجه وشرعا يعالجان مشكلتهما الاجتماعيةالمعقدة على مستوى عال...

فقال الثور : نحرث ونحرث ، والعشاء تبن وحشيش يابس ، وعند طلوع الضوء يأتينا الطعام المعهود . أتقول ان على وجه الارض من هم اشقى منا ؟

فأجهش الحمار بالبكاء ثم نهق قائلا: نعم ، نحن أشقى من عليها وانا أشقى الاشقياء. انت يا زميلي لك عمل واحد، تفلح الارض وتستريح .. أما انا فأين كنت اليوم ؟ ! أما كنت مشدودا معك لان رفيقتك نفساء ؟ ويوم لا تكون للفلاحة يد يفكر صاحبنا بايجاد عمل لي « واذا لم يجده خلقه . فاما ان يسوقني لحمل الحطب، واما ان يذهب بي الى الطاحون ، وان كان لا عمل عنده حط الجلال على ظهري وبسط فوقه طراحة وركب ليزور أحد أصحابه في القرى المجاورة . والانكى من كل هذا الشقا والتعب مثلهم الذي يردد ويرددونه على مسمعي : حمله واركب. آخرته للكلاب .

فخار العجل يقول : الا يكفيك يا ذكي انك تموت موتة ربك ! لا تذبح مثلي متى شيخت أو قصرت ، فتموت قبل الاوان .

وفي تلك الهنيهة الحافلة بالتأملات العقلية دخل صاحبهما يحمل سنل التبن فقطعا الحديث لئلا يتسرب اليه شيء من اسرارهما الاجتماعية . ولما امتلأ المعلف تبنا قاما . وهما يقولان معا : وهل يعطى حمار وثور غير مثل هذا العشاء ؟

فقال الثور : نحن ولت ايامنا ، وانقضى زمان عزنا . رحم الله نصيف اليازجي القائل :

متى ترى الكلب في ايام دولته
فاجعل لرجليك اطواقا من الزرد

هذا زمان الكلاب والقطط يا اخي. ليس الكلاب التي تطارد الوحوش الضارية ، ولا القطط التي تصطاد الفيران والجرذان ، بل تلك التي تجلس في الاحضان ، وتتبادل واصحابها القبلات وتدلل وتأكل خير الطعام من البانا ولحومنا، ومن السمك والسردين واللحوم المعلبة .. أما نحن الذين نخدم خدمة نصوحا ونستخرج الخيرات من قلب الارض فنرضى بالاكل من حيث كان .. ليس من يبالي بنا ، فلولا كتفي وظهرك من أين كانت تأكل الناس ؟! أما كانوا يحلون محلنا ليقوموا باعمالنا واشغالنا الشاقة ؟

فقاطعه الحمار قائلا : ولماذا لم تقل كتفي ايضا ، أما كنا اليوم نفلح الارض معا ؟

ـ بلى يا صاحبي ، فلولانا ما اعطت الارض غلة . تأمل ، نزرع ما نزرع ، تحت المطر ، محتملين البرد ولا نذوق حبة من الحبوب التي نسقيها عرق جلودنا . واذا نبت الزرع وحاولنا رعيه او ان نقضم قضمة منه ، علا الصياح من كل فج عميق ، وانقضوا علينا بعصيهم ، كأن لا حق لنا بشيء من انتاجنا . الحق مع الذي قال : ابن آدم كافر أسود راس .

فقال الحمار : وط صوتك لئلا يسمع صاحبنا. قرب حتى اوشوشك. أما سمعت بعد بالآلات التي تفلح وتزرع وتقلب الارض ظهرا لبطن ! قصرت حياتنا على وجه الارض . سوف يستغنى عنا .

فقال الثور : كيف ! ومن اين يأتون باللحوم والالبان اذا انقرضنا ، أيأكل بعضهم لحم بعض ؟

فضحك الحمار وقال : ما أقل عقلك يا بهيم ، صحيح انك فدان ! نسيت ان عندهم الغنم والمعزى وحيوانات اخرى . فتضاحك الثور وقال : كل عشرين راس غنم لا تحلب قدر بقرة واحدة . ولكن انت ماذا يحل بك يا مسكين ! فجلدك لا يسكف ولحمك لا يؤكل ..

فاستضحك الحمار وقال هازئا : ناس كثيرون يأكلون لحمي .. فاذا ضاق بوجهي هذا المحيط وقل الرزق اهاجر ، مع الذين يهاجرون .. أما قال الشاعر : وارض الله واسعة الفضاء .

فهز الثور قرنيه استخفافا وقال : هذا اخر زمان ، الحمار فيه يقول الشعر . الى أين تهاجر يا جحش ، ومن يستقبلك على البور او في المطار ... نحن همل ليس من يسأل عنا . انكلاب خير منا ، الكلاب محظوظة في هذا الزمان . فبعد ان كانوا يتنجسون منها ، حتى قالوا : فلان قعد مني مقعد الكلب ، صار للكلاب صدر الديوان .

فحرك الحمار اذنيه وقال : سبحان الله ! الدنيا أدوار ، وهذا الانسان يلعب بمقدراتنا .

وسمع الثور حس صاحبه فأسر الكلام وقال الحمار : هس ، هس ... ذهبت أيام البراذع والجلال والجلاجل ، كما مضت الايام التي لم تكن تذبح فيها بقرة .

ـ انا ما رايت يوما أبيض في حياتي ، فكل أيامي اما ان أكون محملا واما مركوبا ، واليوم صرت أفلح . اكتمل النقل بالزعرور كما يقولون .

وشق الفلاح باب القبو فكفا عن الكلام وشرعا يقضمان . فرد الباب عليهما وذهب ، وبعد ساعة زمان جاء وفكهما واطلق سراحهما ليرعيا في مرج قريب ، فصادفا جملا وبغلا وقعدوا جميعا يتشاكون فقال البغل : انتما يا حمار ويا ثور ، رضيتما بالتبن الحاف فصار طعامكما الدائم ، الا تعرفان الانسان طميعا بخيلا شحيحا!؟ الحق على من خلفاكم وعوداكم هذه العيشة الذليلة . الذنب ذنب المربي ، أما انا فلا بد لي من الشعير ، كما لا بد لاخي الجمل من الفول والكرسنة . اضربنا عن الطعام فوقف العمل ، واضطر صاحبنا آن يرضينا ليشتغل ويقبض ...

فشقشق الجمل وقال : هاتيك ايام راحت وآحزني عليها . أيام كنا نأكل فيها الكرسنة والفول المنقوعين ، أما اليوم فلا فول ولا مكيول . ولا من يحزنون . كنت فيما مضى اشكو الاحمال الثقيلة اما في هذه الايام فالحمل نادر والاكل اندر . هذا الزمان كما قلنا ، زمان الكلاب والقطط تأكل خير أكل وتنام على صوف ، ولا تعمل شيئا .

فنظر الحمار الى الثور نظرة ذات معنى فقال البغل : صرح يا ابن ابي ، قل بماذا تفكر ، فنحن في المصيبة سواء .

ولما استوثق الحمار من اخيه البغل قال له : اسأل خالك الحصان ، اما مر ورآني مكدونا قبالة هذا العجل لان رفيقته نفساء .

فقال البغل : وماذا عملت يا حمار ! هم يتزوجون ويخلفون وانت تشتغل عنهم ! قل لي ماذا عملت ؟

ـ ماذا عملت ؟ أكلت كم عصا ومشيت غضبا عن رقبتي .

فتقدم البغل ينظر الى الجرح الذي أحدثه النير في رقبة الحمار ، ثم هز رأسه وقال : لم يسموك حمارا عن عبث ، فلو عملت مثلي لنجوت .

فصاح الحمار : ماذا عملت ؟ علمني حتى أعمل مثلك .

فقال البغل : تعنفصت ولبطت وكدشت ... ولما لم انقد له خاف وتركني ، وجاء بك يا جحش لتحل محلي .

فقال الحمار : الحكم آذن على الطائع .

فقال البغل : هذي يا بن امي شريعة الناس ، ما بلغك بعد قول شاعرهم : ومن لا يظلم الناس يظلم . اذا أردت ان تعرف اخلاق أمة ففتش عن امثالها ، فمثل البشر يقول : الفاجر أكل ماله ومال التاجر . يعد الانسان الف عشرة قبل ان يركب بغلا ، بينما تراه يركب

الحمار ارتجالا . يقولون في مثلهم : الحيط الواطي كل الناس تركبه ، انت حيطك واطي ، فعبثا تشكو : شكوى الجريح الى البئزان والرخم .

وهنا تدخل الثور ليعرض قضيته فقال له البغل : سد بوزك.. ولا كلمة. انت أقل فهما من الحمار . ولذلك قال الشاعر :

علي نحت القوافي من معادنها
وما علي اذا لم تفهم البقر

كان يقدر الشاعر ان يقول : الحمر بدلا من البقر ولا ينكسر الشعر ولا القافية .. فكيف تترك ابن آدم يجيعك ويكدنك مع الحمار ! الا يحط هذا من مقامك مع انه معك سلاح ليس لاحد منا .

فأجاب الثور : انا معي سلاح ؟؟ اين هو سلاحي ؟

فقال الجمل : معلوم .. ألا تراه ، انت أعمى يا ترى ؟

فقال البغل للجمل : أسكت يا هبيل ، كل الحيوانات تحكي ما عداك. انت طمعت البشر فينا ، رقبتك باع ويقودك ولد أقل من ذراع .

وبربر الجمل ودلق جرابه الاحمر ، فقال البغل: هس ولا كلمة . فلو عرفت قوتك لما أناخوك ، وحطوا على ظهرك الجبال من الاحمال ، ثم نهضت بها ومشيت .

فقال الثور للبغل : يا سيدنا، قطعت حديثك معي ورحت تحدث غيري . قلت لي معك سلاح ولم تدلني عليه .

فنط الحمار وقال : أعرفتم من منا هو الحمار ؟ هذا هو الحمار . الا تعرف يا ثور انك صاحب سلاح لا ينزع منك ؟ فوالله ثم والله لو كان لي أحد قرنيك لما تركت انسانا يقودني .

فأجابه البغل : ولكن لك حافر فلماذا تتركه يسوقك ؟

ولما حان وقت المغيب جاء صاحبهما ليسوقهما الى الزريبة كالمعتاد ، فلبطه الحمار لبطة موفقة أطلعت روحه ، فمات لساعته . وكر الحيوانان الى مزربهما لا يلويان على شيء .

ثم كان البحث عن القاتل فاتهم من اتهم . وبينما كانت التحقيقات جارية كان الحمار والثور يتحاوران ، فقال الحمار للثور : هل وصلك خبر الكلب العجيب الذي ينبش المجرم ويقبض عليه ؟

قال الثور : صحيح ! ويعرفهم تماما .

فقال الحمار : هكذا يقولون ، حقا انه ذكاء عجيب .

فقال الثور : ما هذا ذكاء . هذي قوة شم .

فأجاب الحمار : انت لا تعترف لاحد بشيء . شم انت مثله لنرى ما يكون . نسيت انه ابن جنسنا ويقبض على الناس متى اعتدوا . هذا فخر لنا يا حبيبي ، فخر واي فخر آن يخوف المجرمين من البشر كلب . ويقر الامن فيما بينهم .

فمغمغ الثور : تف لهذا الزمان ما أرداه ! صار المقام الرفيع فيه للكلب. كان يمشي خلفنا ذليلا ، وكانوا يتنجسون منه اذا لمسهم لمسا ، فصار ينام على السرير ، يأخذون حليبنا

ليطعموه اياه في صحن صيني ونحن ما زلنا ناكل في المعالف ، وننام على زبلنا وزبل غيرنا ، ونشرب من الجرن العفن الازرق .

فقال الحمار : لا تحسد الكلاب ، يكفي أن فرعا منا يأخذ بثأرنا من البشر ، الناس الجبناء الذين يغدرون، ويقتلون في الخفاء . فلو كانت لهم سلامة النية والشجاعة ما احتاجوا الى كلاب تدل على المجرمين منهم . حسبنا فخرا ان حيوانا واحدا من جنسنا يكشف مظالم الانسان المستبد المعتقد ان الله سلطه علينا فيذبحنا ساعة يشاء . ثم يذبح أخاه الانسان ليأخذ ماله وهو غير محتاج اليه . هل سمعت ان حيوانا اهتم للغد ، فطالب بأكثر من القوت ؟ ومع ذلك يسعون للاستغناء عنا بآلات صماء ، فما عساه يحل بنا في الغد ؟ حقيقة ان المستقبل مظلم .

فقال الثور : والله ما اعرف لماذا لا نفكر بأن يكون لنا ضمان جماعي يؤمننا مخاوف الشيخوخة عند العجز عن السعي ، أما قال المثل : من سعى على رجله رعى ، وهل يحمل الرجل غير البطن الملآن .

فقال الحمار : انا متكل على الذي خلقني . ومع ذلك أقول ، واعني ما أقول ، اذا كان ليس عند الناس في لبنان مثل هذا الضمان ، فكيف يكون لنا نحن البهائم .

وبينما هما يتناجيان انشق باب القبو فدخل كلب غريب لم يعرفا له صورة وجه من قبل، فظناه الكلب الذي تحدثت الصحف عن عبقريته والاستقبال الذي جرى له في المطار ، فنفخ الثور وعج . ونهق الحمار وحاول ان يقطع الرسن . تمثل له شبح جريمته وتذكر حديث الكلب الذي ينبش المجرمين ، فخال انه هو ، وانه جاء ليقبض عليه.. أما الثور ، وهو البريء من كل اثم ، فتشدد وقال : مرحبا بالضيف ، شرفتنا بهذه الزيارة ايها النسيب العزيز ، الضيف له الكرامة ، ولكن بيتنا خال حتى من عظمة .. وكل ما نرجوه منك غض النظر عن جريمتنا ، ولا تفضحنا بين الناس فيشمتوا بنا. كن نصيرا لبني عمك ، فنحن كلنا من ذوي الاذناب وهم بشر ظالمون . اذا قتلنا واحدا منهم خطأ فكم قتلوا من الملايين منا عمدا . كن حيوانا ولا تبع دم بني عمك بطعام مريء يعدونه لك، كنا مظلومين ففار دمنا وقتلنا صاحبنا عن غير سابق تصور وتصميم .

أما الكلب فوقف مبهوتا صامتا لا يفهم شيئا مما حكاه الثور . وتشجع الحمار وقاطع الثور قائلا : يقولون انك ذكي جدا يا ابن العم ، والذكي مثلك لا يجهل المادة الكلية القائلة : جناية العجماء جبار ، وخصوصا ان الجاني حمار .. ثم زوى ما بين عينيه ونصب اذنيه وقال : اذا كان (الاجتهاد) يبرىء الانسان العاقل من جناية القتل عمدا ، أفلا يبريء هذا النص الواضح كعين الشمس جحشا مثلي ! كن فهيما . هذا نص وليس حيلة تلبس رداء القانون .

فابتهج الثور واستضحك في عبه وقال : ومتى تعلم الحقوق هذا الحمار.

ولم يفهم الحمار ما قاله الثور واتم حديثه : ثم لو سلمتني ماذا يصير ؟ انهم يخلون سبيلي بلا كفالة . في هذا البلد جناة كثيرون فاذا اردت أن تبيض وجهك مع أصحابك فاقبض على واحد منهم بدلا مني . لا تخف ان تتعب ضميرك ، ففي اليوم الواحد ترتكب عدة جنايات .

وبينما كان الثور يحاول اقناع الكلب ، والكلب لا يفهم شيئا مما يقال، كان الحمار يتهيأ لمغامرة . يريد ان يموت قبل ان يستسلم لكلب ، فلو كان أسدا او نمرا لهان عليه الامر . اذا كان المثل يقول : ياكلها السبع ولا ياكلها الضبع فكيف الكلب !؟

ولم تنجل الغمرة الا عندما لف الكلب ذنبه وخرج . وظل الحمار حينا قلقا مشغول الفكر يبكته ضميره حتى عرف ان الكلب سوقي لا بوليصي ، وقد مر من هناك عرضا ...

شخصية العدد

وداد قرطاس

رائدة من رائدات نهضتنا الثقافية والنسائية

لبنانيات رائدات كان لهن دور بارز ومميز في مختلف الميادين الثقافية والادبية والتربوية والوطنية ، ولقد دأبنا منذ فترة على ابرازهن الواحدة تلو الاخرى من خلال شخصية النشرة تحت عنوان لبنانيات ماذا فعلن ؟ وما هو دورهن ؟

نأتي على ذكر ابراز شخصية مهمة من اولئك اللبنانيات الرائدات اللواتي مضين وتركن أثرا بالغا في النفوس ، وكانت لهن اليد الطولى في كثير من الاعمال، تلك هي السيدة وداد قرطاس المقدسي .

لا استطيع ان اعطي تعريفا محددا حول شخصية السيدة بحيث لا استطيع ان أفيها حقها ، وانا التي لا اعرفها عن قرب أو عن كثب ولم اتحدث مع احد من اقاربها أو أصحابها سوى بعض ما كتب عنها .

فالقاء نظرة بسيطة وسريعة حول سيرة حياتها المفعمة بالنضال والعمل الدؤوب من أجل رفع شأن مستوى المرأة اللبنانية علما وثقافة ولاثبات قدرتها في تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها .

ربما بهذا نفي بالغرض ونتفادى المحظور .

ولدت وداد قرطاس في أسرة متميزة بخدماتها للعلم والتربية ، فهي ابنة المعلم جرجس الخوري المقدسي الذي تتلمذ على يده مئات من رواد نهضتنا، وامها مريانا الخولي سليلة عائلة عريقة في العلم والمعرفة .

اذن ولدت وداد قرطاس في اسرة عريقة في العلم والمعرفة ، تلقت دروسها الابتدائية في معهد صغير انشأه (الموسكوب) أو الروس الذين كانت لهم مدارس في لبنان وسوريا وفلسطين ، معاهد ابتدائية وثانوية ، ولكن والدها شاء ان تدرس في معهد علماني ، وهكذا انتقلت الى مدرسة المعلمة ماتيلد بحمدوني، ثم الى المدرسة الاهلية ، وكانت تعرف بمدرسة ماري كساب حيث انهت دراستها الثانوية ، ثم نالت بكالوريوس في الادب من الجامعة الاميركية في بيروت وماجستير في الاداب من جامعة ميتشغن في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ .

شغلت السيدة وداد وتقلبت في مناصب مهمة عدة ، نذكر منها بانها عملت استاذة في دار المعلمات في بغداد عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣١ ، ثم استاذة في المدرسة الاهلية ، ثم رئيستها وذلك في العام ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ .

عضو اللجنة التأسيسية للاكاديمية اللبنانية (١٩٤٠ ـ ١٩٧٤) وامينة سرها ، عضو اللجنة المشرفة على مدرسة برمانا العالية ، عضو اللجنة المشرفة على المستشفى اللبناني للامراض العقلية والعصبية ١٩٥٢ ـ ١٩٦٣ ، عضو مؤسس في المجلس الاهلي للتعليم الثانوي وامينة سره ١٩٦٠ ـ ١٩٧٤ ، عضو مجلس امناء مؤسسة الدراسات الفلسطينية وامينة سر جمعية اصدقاء القدس ورئيسة لجنتها النسائية سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٢ ، حاملة وسام الاستحقاق اللبناني درجة أولى سنة ١٩٦٠ ووسام الارز الوطني من رتبة فارس ١٩٧٠ .

كل هذا الى جانب مساهمتها في عدد من الجمعيات النسائية ، والقاء المحاضرات والندوات الادبية والعلمية.

تولت منصب مديرة المدرسة الاهلية سنة ١٩٣٤ وبقيت في هذا المنصب حتى سنة ١٩٧٤ سنة تقاعدها ، اربعون سنة قضتها في خدمة التربية والتعليم ومن موقع متميز ومستقبلي.

تزوجت سنة ١٩٤٠ من اميل قرطاس وانجبت ٤ أولاد ، وكانت مثالا رائعا اذا جمعت بين الامومة الحقة ضمن الاسرة الصغيرة وبين الامومة بمفهومها الانساني خارج نطاق العائلة.

وليكتمل خطها ومسيرتها التربوية توجتها باصدار مجموعة من المؤلفات تحتوي جميعها على ما تفكر به السيدة وداد والى ما تصبو اليه .

الصادر من هذه المؤلفات : دنيا احببتها ، واناشيد الاهلية ، مناهل المقدسي ومنها قيد الطبع ، ذكريات ١٩١٧ ـ ١٩٧٧ بالعربية والانكليزية . واثنا عشر كتبا استندت فيها الى مجموعة من القصص التربوية كانت قد جمعتها من والدها .

وتكريما لذكرى وداد قرطاس مديرة المدرسة الاهلية لمدة اربعين سنة قضتها في خدمة المعرفة والمربية التي كان لها الاثر العميق في حياة كل من درس عندها أو أفاد من ارشادها والمواظنة التي تميزت بعطائها السخي للعديد من المشروعات التربوية والثقافية والاجتماعية في لبنان ومتابعة لخدماتها في هذه الحقول انشئت لجنة وداد المقدسي قرطاس التذكارية ووضع نظامها الاساسي بموجب علم وخبر ٩٢ / ١.د لعام ١٩٨١ .

ماذا قيل فيها :

تقول عنها السيدة املي نصرالله ، عرفناها مربية ، ورائدة من رائدات نهضتنا الثقافية والنسائية وانسانة عميقة الابعاد ، شفافة الرؤيا تهتز جذورها لقضايا الانسان في وطنها كما في اي وطن اخر يتعرض فيه الانسان الى الظلم والقمع والارهاب والتعذيب.
كانت تقوم والقول للسيدة املي نصرالله بأكثر من دور وتشغل اكثر من وظيفة وكل اعمالها تدور في فلك الانسان ، مستقبله رقيه الفكري وارتقائه الروحي وتأمين سلامه وحقه في العيش الكريم.
اما الذي يميز السيدة وداد عن غيرها فهو ايمانها العميق بالانسان ، والوطن وبالمرأة وبامكاناتها المدفونة والمكبوتة تحت ضغط او قهر المجتمع والبيئة . لذا جعلت من مدرستها منهلا للتعليم ليس فقط تعليم القراءة والكتابة بل كذلك التركيز على التربية الوطنية الصادقة بعيدة عن اي تعصب طائفي او عرقي او جنسي ثم الحرية المسؤولة التي تعطي للفتاة القوة لان تخلق وتخلق دون ان يعيقها عائق او جدار يقف في طريقها ويجعلها اسيرة له .
ولنترجم اقوالها وخطها فعلا حقيقيا وعملا واقعيا جعلت من مدرستها منبرا لالقاء الخطب والمحاضرات ولاقامة الندوات حول مختلف الميادين العلمية منها خاصة ، وكانت مقصدا يزورها فيه الشخصيات المحلية والعالمية نأتي على ذكر البعض منهن ، مثلا السيدة هيلين كلير او اعجوبة القرن العشرين وفيجايا باندیت نهرو .
كل هذا لتخرج بتلميذاتها من الثقافة المحدودة والمحصورة ضمن اطار الكتب والمناهج التربوية ويخرجن بثقافتهن بعيدا ولينطلقن على العالم الواسع فاتحة المجال امامهن لتكوين شخصية الفتاة القديرة القادرة والمثقفة التي تطمح اليها السيدة وداد .
ولتبيان شخصية وداد المتميزة بالوطنية والحساسية المرهفة تردنا شقيقتها الانسة سلمى قرطاس الى طفولة وداد ، عندما صدر وعد بلفور المشؤوم وكانت بعد طفلة صغيرة فكتبت رسالة الى ملك الانكليز تحتج فيها على هذا الوعد .

ومن اقوالها التي كانت ترددها دائما ان في المحاضرات ام في الاحاديث الخاصة بان من اهم العوامل التربوية هو أن تربى فتياتنا على الثقة بانفسهن .
توفيت السيدة وداد سنة ١٩٧٩ اي بعد اندلاع الحرب الاهلية اللبنانية التي قضت على معظم ما تطمح اليه السيدة المرهفة ، فكانت هذه الحرب صدمة قاسية جدا عليها كما على الكثيرين من اللبنانيين وخصوصا عندما رأت ان كل ما بنته في حياتها من بناء تربوي وحضاري ووطني ينهار امام سمعها وبصرها دون ان تستطيع ان تفعل شيئا لذا كانت تقول وتردد « هذه الحرب جعلتني افقد ايماني » .
هذه هي باختصار سيرة السيدة وداد والمربية والمثقفة التي تجمع المتناقض والمتجانس في شخصيتها من التواضع والعطاء والى القوة والحنان ، وكان بودنا ان نقول المربية وربما كانت هناك اشياء واشياء كثيرة ومهمة في حياة السيدة قرطاس وكل ما نقوله عنها الان هو من مقال كتبته السيدة املي نصرالله ، وكانت رغبتنا ان نلتقي السيدة املي والمعروفة منها شخصيا لتعرفنا عن سيرة حياة السيدة وداد وما تفكر به ، ولتعطينا بعضا عن رأيها في مختلف الميادين وخاصة قضية المرأة ، ولا بد ان لها رأيا واضحا ونهجا تسير عليه ولانها شغلت منصب رئيسة احدى الجمعيات النسائية .
ولكن الظروف الخاصة للسيدة املي وظروفنا منعتنا من لقائها لاستشفاف رأيها في السيدة وداد .

■

عقد المرأة

1976
85

منذ العام ١٩٧٦ ، بدا « عقد المرأة » ، بقرار من الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ، وذلك اعترافا بالدور المتعاظم للمرأة في عملية التطور الاجتماعي . وها قد شارف العقد على الانتهاء باقتراب العام ١٩٨٥ ، وما زال النساء في العديد من دول العالم تتعرض لشتى أنواع التمييز والقهر والمعاناة .

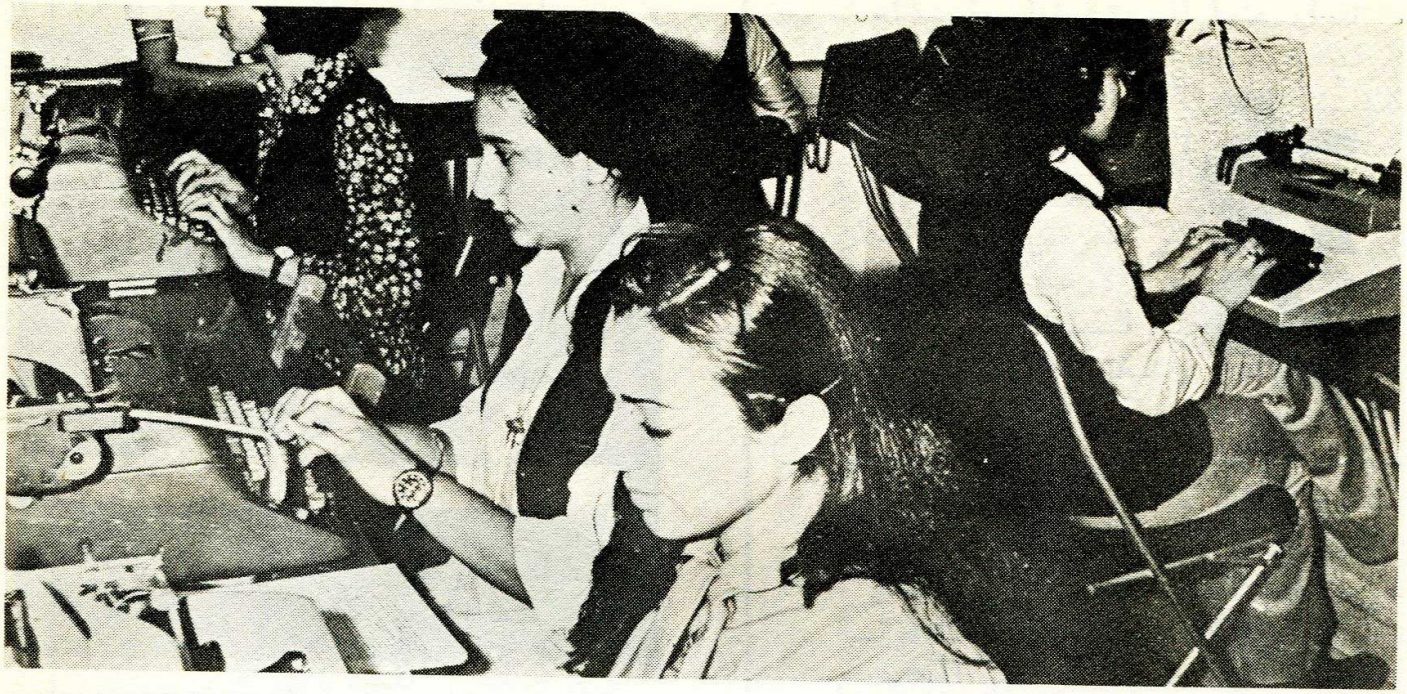

ليس أدل على ذلك ، علاوة على العلاقات الاجتماعية والبيئية التي تكرس النظرة الدونية للمرأة ، سوى تلك العلاقات التي لا تقف عند حدود والتي تبرز بشكل واضح ، واكثر حدة ، مدى الاستغلال المزدوج الذي تتحمله النساء العاملات . فاضافة لكونهن يدفعن قوة عملهن كأي عامل اخر ، تتجاذبهن خلال العملية الانتاجية ، وما يدور حولها من علاقات اقتصادية داخل مكان العمل وخارجه ، المفاهيم الاجتماعية العامة التي تخضع باستمرار عمل المرأة لاساليب متنوعة ومبتكرة من قبل اصحاب العمل لزيادة حدة استغلالها .

الانتفاع من حق العمل

فالحق في العمل ، هو احد أهم حقوق الانسان ، ولتطبيقه من الضروري ضمان فرص متكافئة أن من حيث الحصول على مكان في العمل اولا كضرورة حياتية ، أم من حيث الحصول على اعداد مهني وتساو في الاجور ، مما يمكن من تخطي المفهوم السائد بأن « عمل المرأة هو عمل اضافي يخضع للحاجة الاقتصادية الذاتية لها ولعائلتها فقط » .

الا ان المرأة في أي بلد رأسمالي يعد متطورا ـ كنموذج لنقارن ضمنا بحال المرأة في الدول النامية ـ فهي لا تتمتع بفرص متساوية مع الرجل في هذا المجال ، أي في الحق في العمل ، وعادة ما يكون عدم الاعداد المهني للنساء احد اهم العوامل التي تحول دون انتفاعهن من حق العمل ، وبالتالي تعريضهن للبطالة الجماهيرية التي يرتفع عددها باضطراد .

ففي الولايات المتحدة كان عدد النساء العاطلات عن العمل في نهاية العام ١٩٨٢ ما نسبته ٤،٨ ملايين ، وفي كندا ٠،٥ مليون، وفي بلدان السوق الاوروبية المشتركة اكثر من ٥ ملايين ، وفي المانيا الاتحادية بلغ عدد النساء العاطلات عن العمل ٠،٨ مليون في ايلول ١٩٨٢ ، علما بان نسبة العاطلات عن العمل وصلت الى ٨،٨ بالمئة ، بينما تعادل هذه النسبة بين الرجال ٦،٦ بالمئة . أما في فرنسا فقد فاق عدد العاطلات عدد العاطلين عن العمل من الرجال حيث بلغ ١،١ مليون ، ووصل عددهن في ايطاليا العام ١٩٨١ الى ٠،٨ مليون أي ١٢،٩ بالمئة من النساء العاملات مقابل ٥ بالمئة من العمال الرجال .

وتبرز حاليا ظاهرة التشغيل غير الكامل ، على نطاق واسع بين النساء ، كأحد اشكال البطالة المقنعة . وتشير معطيات بعض البلدان الرأسمالية المتطورة الى أن اكثر من ١٣،٥ مليون من النساء العاملات في الولايات المتحدة الاميركية اشتغلن يوم عمل غير كامل، وان ملايين النساء في كل من بريطانيا وهولندا وايطاليا والدانمارك خضعن لنفس هذه الظاهرة . وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه الاعداد الكبيرة من العاملات محرومات من حق الضمان الاجتماعي وهن غير منظمات

في النقابات وبالتالي فهن يبقين بدون حماية من نتائج الاستغلال المضاعف الموجه ضدهن من قبل اصحاب العمل وباساليب تعسفية .

عدم المساواة في الاجور

وكما لا يطبق في اي بلد رأسمالي حق كل فرد في ظروف عمل عادلة وملائمة ، تواجه النساء العاملات ، اضافة الى ذلك عدم المساواة في الاجر . ففي الولايات المتحدة في اواخر السبعينات كان معدل اجرة النساء يشكل ٦١ بالمئة من اجرة الرجال . وفي بلدان السوق الاوروبية المشتركة بلغ الفرق بين اجرة الرجل واجرة المرأة ٢٠ الى ٣٠ بالمئة . وقد وصلت اجرة النساء في اليابان الى ٤٨ بالمئة من اجرة الرجال .

وتكمن احدى الصعوبات التي تحول دون تحقيق مبدأ الاجر المتساوي للعمل المتساوي وجود سوقين لليد العاملة « نسائي » و « رجالي » بحيث يكون في متناول النساء عدد محدود من المهن . وكما افادت معطيات وزارة العمل في الولايات المتحدة الاميركية ، فان اكثر من ٤٠ بالمئة من النساء المشتغلات في اواخر السبعينات مارسن ١٠ مهن فقط بينما زاول الجزء الاساسي من الرجال ٥٧ مهنة . وفي بريطانيا كما في العديد من الدول يمارس الجزء الاكبر من النساء العاملات المهن الادنى اجرا والتي لا تتطلب التأهيل والتدريب المهني .

في الضمان والنقابات

هذا اذا لم تشر باسهاب الى التمييز الذي يلحق بالنساء العاملات في مجال الضمان الاجتماعي كأن لا يتجاوز معاش التقاعد للمرأة ٥٠ بالمئة من معاش الرجل المتقاعد علما بان أصل راتبها قلما يصل الى ٦٠ أو ٧٠ بالمئة من أصل راتب الرجل اثناء العمل.

أما الحق في الانضمام الى النقابات ، وهو الحق المرادف لحق العمل ، كضمانة ومنبر للدفاع عن حقوق ومصالح العمال الحياتية والاقتصادية والاجتماعية ، فكثيرا جدا ما يخرق هذا الحق في مثل هذه الدول . ففي حين تشكل النساء العاملات نسبة ٤٠ بالمئة من اليد العاملة في الولايات المتحدة فهناك فقط ٢٥ بالمئة منهن منتسبات الى المنظمات النقابية كاتحاد العمل الاميركي ، ومؤتمر النقابات الانتاجية . ولا تشكل النساء في بريطانيا الا ربع اعضاء مؤتمر النقابات البريطاني . مثلان اثنان يمكننا من خلالهما تصور مسألتين اساسيتين : أولهما ، ان عدم انخراط المرأة العاملة في ميدان النضال النقابي يضعف قدرتها على الدفاع عن حقوقها وحقوق طبقتها . وثانيها ، ان حجم هذه القوة الجماهيرية التي لو أضيفت الى قوة النقابات كما ونوعا لاستطاعت هذه الاخيرة من تحقيق المزيد من المكاسب العمالية ومن تعزيز دورها ومكانتها في المجتمع .

الحق في الامومة

وكثيرا ما ترضخ النساء العاملات للتخلي عن حقهن من قوانين حماية الامومة والطفولة نظرا لعدم الزامية مثل هذه القوانين في غالبية الدول الرأسمالية . فتضطر الام العاملة ، خوفا على الوظيفة من جهة ومن انضمامها لجيش العاطلين عن العمل من جهة ثانية ، الى عدم الاستفادة من هذا الحق الضروري انسانيا واجتماعيا . ففي المانيا الاتحادية مثلا ، اجازة الامومة اختيارية والنساء هناك يتخلين عنها طوعا حفاظا على مكانهن في العمل . أما في دول اخرى مثل بريطانيا ، رغم التشريع القاضي باجازة امومة مدفوعة الاجر مدتها ستة اسابيع ، والذي أقر لاول مرة في العام ١٩٧٥ ، يبقى القلق من فقدان العمل مسيطرا على النساء العاملات لكون الافضلية ستكون للرجال عند القبول في العمل .

هذه نماذج من أهم الحقوق التي لم يبرح النساء عامة والعاملات بشكل خاص يعانين من محاولات انكارها عليهن بل محاربتهن بواسطتها في أغلب الاحيان مع الاشارة الى أهمية تطبيق نصوص القوانين اكثر من اقرارها . وهذه الحال ان كانت تطال النساء في دول رأسمالية متطورة كالتي أشير اليها آنفا ، غير انها تنعكس اكثر حدة وباشكال متنوعة على نساء الدول النامية نظرا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الصعبة ، وللعلاقات الاكثر تخلفا والتي تطبع الحياة اليومية للمجتمع ككل وللنساء تحديدا .

■

مقتطفات وصور من الصحف

الدكتور ادوار صوما
يعلق الوسام
للسيدة ليلى عنيد

□ قدرت اللجنة الدولية للصليب الاحمر السيدة ليلى عنيد رئيسة قسم المسنعفين في الصليب الاحمر اللبناني فمنحتها وسام فلورانس فايتنغل لجهودها في حقل الاسعاف والتمريض.

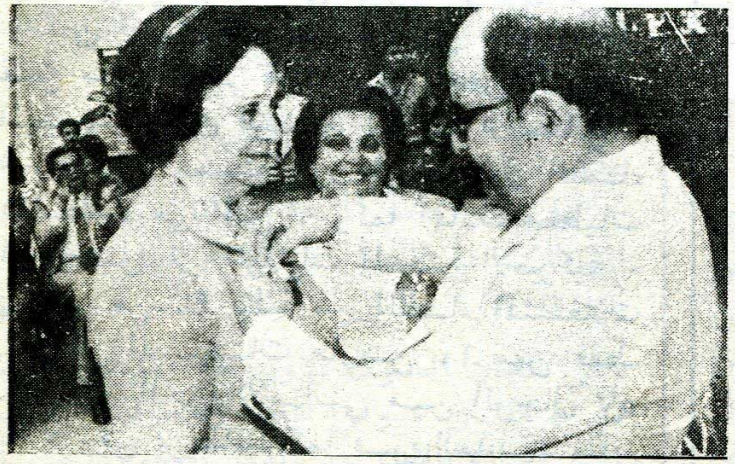

الاستاذ عائد ابو شقرا
يقلد البعيني الوسام

□ كرمت الهيئة التعليمية في مدرسة البنات الثانية الرسمية ـ المصيطبة ، المربية نبيهة جودية البعيني ، تقديرا لخدماتها في الحقلين التربوي والاجتماعي (٤٤ عاما) . وفي حفل التكريم قلدت وزارة التربية المربية البعيني وسام المعارف .

□ اقامت جمعية العناية بالطفل والام مأدبة افطار حضرها رئيس الحكومة الاستاذ شفيق الوزان والسيدة عقيلته. تحدثت في الافطار رئيسة الجمعية السيدة حسانه الداعوق .

□ في افطار دار الايتام الاسلامية شاركت ٤٠٠ سيدة وحضرته السيدة وجيهة ادريس حرم الرئيس شفيق الوزان ، كما حضره عدد من زوجات الوزراء والسفراء وممثلات عن جمعيات نسائية .

المحلية . نشاطات اجتماعية نسائية

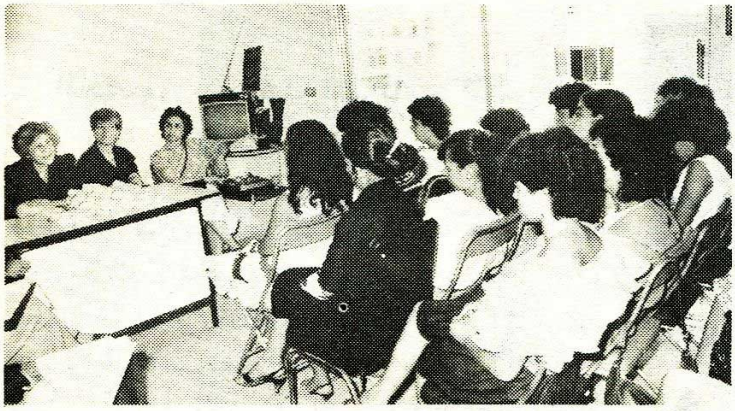

□ في حفل تخريجهن بعد أن اتممن دورة الضرب على الآلة الكاتبة ، تسلمت الخريجات من مركز لجنة حقوق المرأة اللبنانية في بيروت ، وعددهن ٢٠ ، الشهادة من رئيسة اللجنة التي تمنت لهن النجاح في حياتهن العمالية والعائلية .

□ توجت المدرسة الانجلية للبنات بتاج الفاردينيا ، سهى شاهين الطالبة المثالية التي نالت معدل نجاح في المدرسة ٨٥،٦ بالمئة (صف البكالوريا القسم الثاني لفرع الفلسفة) . وتم التتويج على أساس التفوق الدراسي

وقدمت الطالبات في حفل التتويج برنامجا فنيا تخلله اغان ورقص وشعر وعرض أزياء . وقد نالت لقب وصيفة كل من : هيفاء خضرا ، ليلى مشعلاني، هلا تمساح .

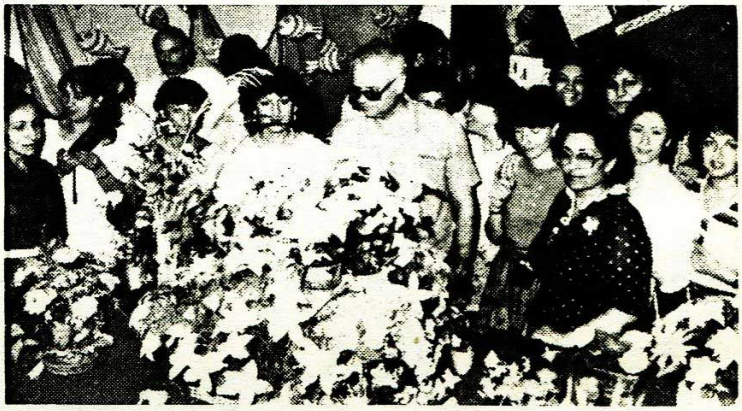

□ أقامت الطالبات الحادقات في دار المعلمين والمعلمات في طرابلس معرضا فنيا تضمن اشغالا يدوية والعاب « ماريونات » وأزهارا اصطناعية ولوحات فنية ونماذج تكنولوجية تربوية عن الطقس ومعرفة الوقت والمناطق اللبنانية . **قص الشريط التقليدي الدكتور نزيه كباره .**

□ أمضى اطفال بلدة اميون ـ الكورة زهاء الساعة مع « الماريونات » وذلك بناء للدعوة التي وجهها فرع لجنة حقوق المرأة في المنطقة . واعقب العرض الذي قدمته فرقة اتحاد الشباب الديمقراطي ، مناقشة مع الاطفال لاستيعاب الموضوع الذي تم من خلال الماريونات .

مقتطفات وصور من الصحف

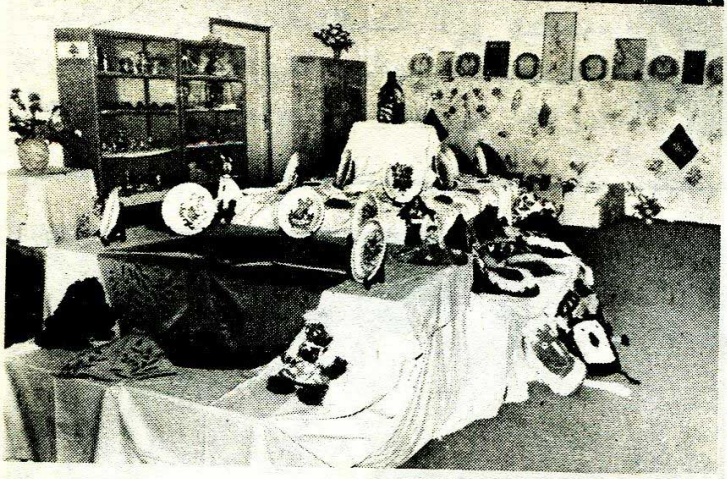

الحضور يشاهد البرنامج الفني

□ على مدى ساعة قدمت طالبات تكميلية فرن الشباك رقصات ودبكات وحركات ايقاعية والعابا وتمارين ، بحضور مدير التعليم الابتدائي والمتوسط في وزارة التربية الدكتور نايف المعلوف ومديرة المدرسة السيدة جان دارك بو صبحة وشخصيات تربوية واولياء الطالبات .

ثم انتقل الحضور الى قاعة حيث نتاج الطالبات وكان الجهد واضحا في اشغال يدوية تنوعت بين تطريز ورسم على المرايا والفخار والصحون .

□ تتالت الرقصات المتنوعة على مسرح قاعة «اروين هول» التي قدمتها ١٩١ طفلة وشابة من تلميذات كلية بيروت الجامعية . وكانت خطواتهن الراقصة على انغام موسيقى تشايكوفسكي وباخ وشوبان وسانت سانس والرحابنة ومارسيل خليفة وغيرهم ، رائعة .

□ افتتح تجمع المرأة اللبنانية في منطقة الغبيري مركزا جديدا تتضمن نشاطاته دورات تأهيلية ومحو امية واسعافات أولية وغير ذلك من النشاطات الاجتماعية .

□ في صيدا ايضا وبحضور وزير الاسكان والموارد المائية المهندس بهاء الدين البساط أعيد افتتاح روضة الشهيد معروف سعد بعد ترميم مبنى الروضة الذي تضرر بسبب الاجتياح الاسرائيلي .

المحلية . نشاطات اجتماعية نسائية

□ برعاية وزير الصحة والعمل والشؤون الاجتماعية **الدكتور عدنان** مروة اختتمت جمعية تنظيم الاسرة في صيدا دورات مراكز نشاطات المرأة في الجنوب والبقاع .

وبعد كلمة امين سر الجمعية الاستاذ توفيق عسيران ، ألقى الوزير مروة كلمة أثنى فيها على مشروع مراكز نشاطات المرأة ونوه بفكر العاملة الميدانية على مستوى القرية ، ودعا المرأة لمضاعفة الجهود لتصحيح الخلل ، ثم قام بتوزيع الشهادات على ٨٦ مشاركة .

العمل حق وواجب

بمناسبة الاول من ايار عيد العمال العالمي

يا عمال وعاملات لبنان !
على اكتافكم تبنى الاوطان ، وبسواعدكم يرتفع البنيان ، ومن عصارة افكاركم يتغذى لبنان .

اليوم عيدكم وعيدكن . اغرفوا من سنوات الكدح والتشرد والحرمان ، جذوة الامل بسنين سمان من الانتاج والاستقرار والضمان .

انتم وانتن على طريق العمل المنتج سائرين . واذا كان هذا الطريق متعثرا فبتفانيكم تمهدونه . واذا كان متعرجا فبوحدتكم تقومونه . فهدفكم الاكبر يبقى لبنان الموحد ، الوطن السيد والبنيان المرصوص .

اليوم عيدكم وعيدكن فافرحوا به وابتهجوا له واجعلوا من الاول من ايار مناسبة لرص الصفوف وتوحيد الكلمة في سبيل حياة افضل تسودها العدالة والمساواة ومن أجل غد مشرق .

ان الظلام الدامس لا يطول ولا بد من نور يبدده ، فكونوا يا عمال لبنان وعاملاته هذا النور المرتجى !

عاشت وحدة الطبقة العاملة اللبنانية!

عاشت ذكرى الاول من ايار عيد العمال العالمي !

٢٨ – ٤ – ١٩٨٣

لجنة حقوق
المرأة اللبنانية

تهدي عاملات لبنان
بطاقة تذكارية بمناسبة
عيد العمال العالمي

حملت لجنة حقوق المرأة اللبنانية (فرع الجبل) الى المعامل والمؤسسات التي بقيت تعمل في بيصور وقبرشمول وعرمون ، بطاقة الاول من أيار التي أصدرتها اللجنة للمناسبة وقدمت للعاملين هناك حلوى العيد .

في الصورة احدى مسؤولات اللجنة تقدم الحلوى للعاملات في مستشفى الشحار .

لجنة حقوق المرأة اللبنانية
تقيم احتفالا تكريميا للعاملة اللبنانية
في مركزها في بيروت

تجربة مفيدة نتمنى تعميمها ولكن في العطلة الصيفية!

سبعون تلميذا من بلدتي الفساقين وعرمون توزعوا على عشرة صفوف ابتداء من الروضة وانتهاء بالصف المتوسط الرابع . درسوا طيلة اربعة أشهر في المدرسة الشعبية التي أقامها فرع لجنة حقوق المرأة اللبنانية في منطقة الجبل واشرف على الدروس عدد من عضوات اللجنة وصديقاتها واساتذة، تطوعوا جميعا لابقاء التلاميذ في الاجواء التربوية وابعادهم عن مخاطر الشارع والفراغ القلق الذي كانوا يعيشونه في أشد الفترات صعوبة التي مر بها الجبل وما زال .

لقد ساهم الاهالي بقسط هام في تأمين نجاح المدرسة الشعبية . فالشقة المؤلفة من خمس غرف ، تبرع بها السيد وليد مرعي وقدم الاهالي الطاولات والكراسي .

وحسب رأي العديد ممن التقيناهم ، فقد نجحت التجربة ، تجربة المدرسة الشعبيه ، التي كانت لها سابقة في قرى وبلدات اخرى في الجبل ، مثل عين قني (الشوف) العبادية وقرنايل ...

وبمناسبة اعياد المرأة والام والطفل ، وبعد

داخل المدرسة الشعبية في الفساقين

أن اعيد افتتاح المدارس الرسمية في الجبل، أقيمت في المدرسة الشعبية حفلة وداع، قيم فيها الحاضرون النتائج التي حصل عليها التلامذة. وترددت الاصوات الشاكرة الممتنة لهذا العمل الذي جاء ضمن امكانات متواضعة.

فاغتنمنا فرصة لقاء الاهالي والامهات بشكل خاص وطرحنا على بعضهن السؤالين التاليين:

أ ـ كيف تقيمن هذه التجربة (تجربة المدرسة الشعبية)؟

ب ـ ماذا تقترحن على الجمعيات النسائية من نشاطات؟

وبحيث ان الاجابات، جاءت متشابهة رأينا ان نقتطف منها بعض النماذج:

السيدة سامية طرابلسي عياش اجابت:

أ ـ اهم ما في هذه المبادرة انها تحدت القذائف والاخطار وخلقت جوا عائليا تربويا بعيدا عن العنف.

ب ـ انا أرى ان للمرأة واقعا خاصا وقضية لا بد ان تتبناها كل جمعية نسائية اذ هناك من لا يعترف بحق المرأة في العمل والمشاركة والمعرفة.

وقالت السيدة سلوى مرعي:

أ ـ كانت بناتي يعانين الفراغ والملل. وهذه المدرسة اعادتهن الى أجواء التحصيل والعلاقات المدرسية.

ب ـ أتمنى على الجمعيات النسائية الترفع عن الحساسيات والوجاهات.

وتجيب السيدة منيرة حمزه العالية قائلة:

أ ـ بدون مجاملة، حقق أولادي تحسنا ملحوظا وانسجموا مع اجواء المدرسة الشعبية التي أمنت لهم ما كان يمكن ان يخسروه بسبب اقفال المدارس وتوقف التدريس في المدارس الرسمية.

ب ـ بودي لو تتوجه الجمعيات النسائية الى ربات البيوت اللواتي لا يعملن، وتشجعهن على الاستفادة من الوقت بشكل مثمر ومفيد.

وفي لقائنا مع السيدة امال مرعي أجابت:

أ ـ انها خطوة مهمة فيها تضحية، في زمن لا كلام فيه الا للحرب، وفي وقت كان جميع أولاد الجبل خارج المدارس. انها تجربة جديدة قدمت ما لم يقدمه بعض المدارس النظامية من اجواء تجمع بين اللين والملاحقة وتركز على المواد الاساسية، مما ربط التلامذة بها وشدهم اليها.

ب ـ اطلب من الجمعيات النسائية العمل اكثر في سبيل الاطفال لانهم بحاجة الى وسائل ترفيهية تثقيفية، الى نواد ومخيمات. كما يجب الاهتمام بمحاضرات تثقيف للنساء في شتى نواحي الحياة.

ونوهت السيدة ليلى غصن باهمية المشروع قائلة:

أ ـ ان قلة هم الذين يقدمون عليه كونه عملا كبيرا هيأ اجواء تربوية وخلق عند التلامذة الانجذاب الى امور جدية بعيدة عن الحرب وعن احاديث الكبار. وأهمية العمل تأتي من كونه تطوعيا مقرونا بالمحبة والاحساس بالمسؤولية. فالقصد من المدرسة الشعبية كان جد نبيل له فائدة نفسية واجتماعية. كان عملا خاليا من الانانية، لا ماديا ولا تجاريا. وكانت الدروس ممتعة في جو تعاوني مشترك بعيدا عن الفردية والقسوة مع الملاحقة اللطيفة.

ب ـ اتمنى على الجمعيات النسائية الاهتمام بحدائق الاطفال وبخلق نواد للتوجيه الثقافي والاهتمام بتعليم المرأة بعض الحرف والفنون لملء الفراغ بشكل مفيد، يجعلها تحس بقيمتها وتؤهلها مهنيا.

وخلال لقائنا بالسيدة سهيلة مرعي غصن افادت:

أ ـ لقد كانت تجربة فريدة ومفيدة وقبل ان تنهي حديثها تدخل ولدها، الذي التحق بالمدرسة الشعبية ليقول: «لقد كنت اذهب الى المدرسة بكل طيبة خاطر، فانا اكره العنف والقمع واطمئن للاجواء العائلية والدافئة».

ب ـ اطلب من الجمعيات النسائية في هذا الظرف الاليم العمل على ردم الهوة بين اللبنانيين وعلى ادانة القتل والخطف والتدمير واعادة اللحمة الى ابناء الوطن الواحد.

المربي المعروف حافظ ابو مصلح أوضح قائلا:

يجب ان يكون هم أي جمعية نسائية في هذا الظرف اختراق المجتمع المنغلق، ولكي يكون العمل اكثر فعالية، لا بد لكل امرأة ان تعي دورها وحقها وتمارسهما.

انها تجربة مفيدة، تأمل لجنة حقوق المرأة اللبنانية تعميمها ولكن ليس لضرورة الحرب التي نعمل ضدها ولوقفها، بل ايضا في اثناء العطل الصيفية العادية وفي ظروف التآخي والتعاون والسلام.

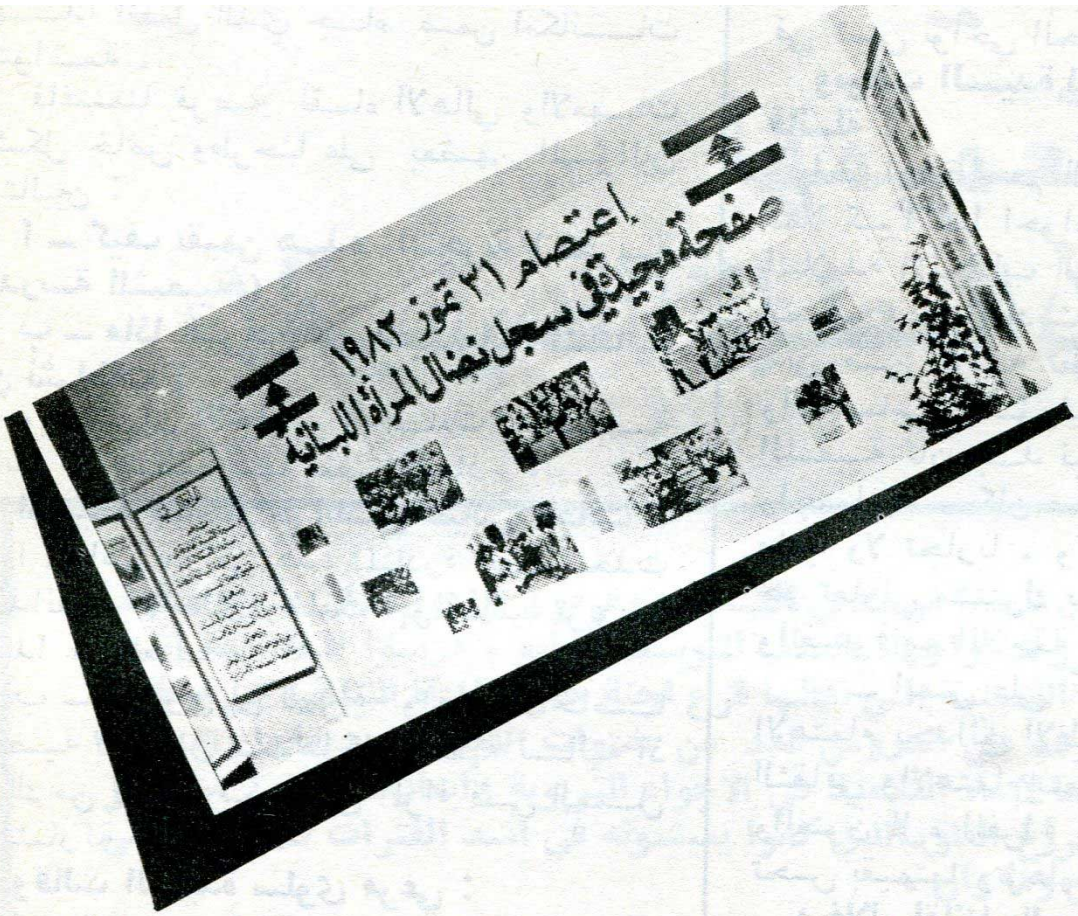

اعتصام ٣١ تموز ١٩٨٢

صفحة مجيدة في سجل نضال المرأة اللبنانية

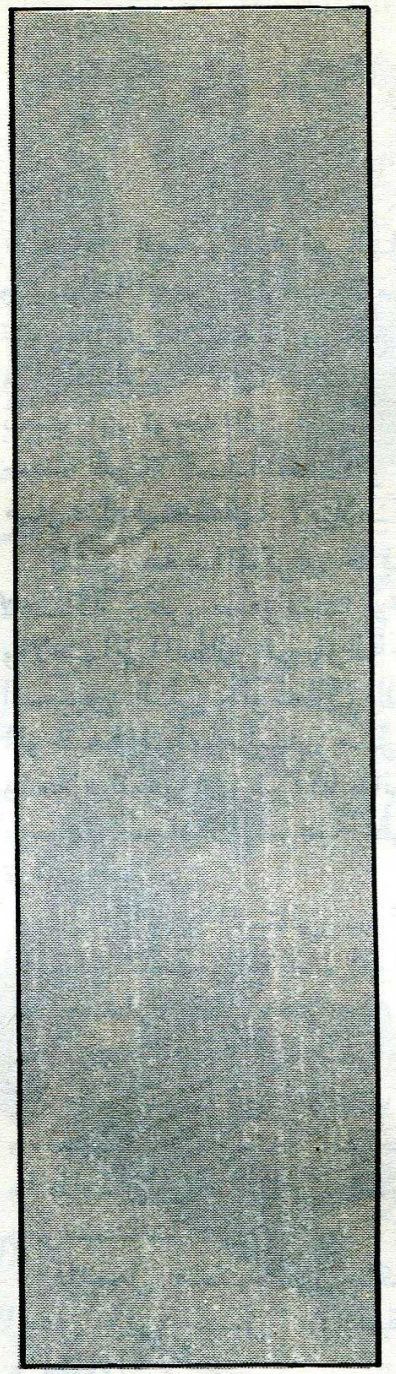

تحت هذا الشعار افتتحت لجنة حقوق المرأة اللبنانية معرض يوميات الاعتصام برعاية السيدة وجيهة ادريس الوزان .

أخذت مواد المعرض التي تتحدث عن معاناة ثلاثة وعشرين يوما ، ابتداء من ٣١ تموز حتى ٢٢ آب ١٩٨٢ ، من الصحف التالية : النهار ، السفير ، العمل ، النداء ، الاوريان لوجور . كذلك أخذت بعض الصور من المركز العربي للمعلومات .

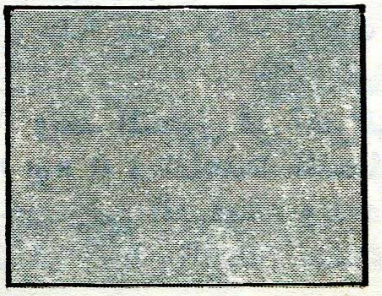

وقد حضر الافتتاح عدد كبير من ممثلات الهيئات الاجتماعية والثقافية والنقابية والاعلامية اضافة الى وجوه نسائية محببة غير منتمية الى أية جمعية ، كانت قد لازمت الاعتصام باستمرارية مسؤولة .

وخلافا لتقليد الشريط الابيض المتبع عادة في افتتاح المعارض ، فقد ارتفع فوق الباب المؤدي الى قاعة المعرض علم لبناني تتضمن أرزته الخضراء ما تؤمن به المرأة اللبنانية وتعمل من أجل تحقيقه :

معا من أجل وطن موحد حر سيد ديمقراطي

ألقت السيدة **وجيهة الوزان** كلمة قالت فيها : اني سعيدة لاننا نجتمع في الذكرى وليس في الحقيقة . ذلك الامس البغيض جئنا فيه معتصمات ضد الحصار وبدفاعنا عن الحق والقيم الانسانية استطعنا ان نجند العالم لكسر الطوق عن العاصمة . ان الاحتلال الاسرائيلي الذي تحررت منه عاصمتنا ما زال جاثما فوق صدر الوطن في الجنوب والبقاع والجبل ، هذا يتطلب منا التضحيات ليتحرر الوطن وتعود اليه سيادته واذا كانت هذه السيادة تقتضي تأمين كل الانسحابات فان الشرط ان نرص الصفوف وان لا نترك أي ثغرة ينفذ منها المستغلون .

نحن اللواتي خلقنا للعطاء نفهم اكثر من غيرنا معنى الحياة وقيمة العطاء . ونجدد التزامنا بالمعاني التي التقينا عليها لنرفع الصوت بل لنطلق صرخة للضمائر الحية . ونجدد عهدنا للعمل من اجل حرية لبنان واستقلاله وتأمين الانسحابات ليبقى الوطن لابنائه يرسونه على قواعد الحرية والعدل والمساواة .

ثم اضافت **السيدة الوزان** قائلة : دور المرأة الاول فلا تتخلى عنه في ساعة الهدوء والبناء ، هذا الدور لا يعطينا اياه أحد بل هو حق نأخذه بالممارسة الصادقة .

ثم اختتمت كلمتها بالقول : الوطن ينادينا وما زال في حاجة الينا جميعا فلنستمر على العطاء والعمل .

كذلك القت السيدة **لينا مطر رئيسة**

لجنة حقوق المرأة اللبنانية الكلمة التالي نصها :

المناسبة ليست سعيدة ، لكنها مجيدة !

انها تذكرنا بتلك الايام المشؤومة ، التي لم تسرق من عائلاتنا، النوم والراحة والاستقرار فقط ، بل كذلك اللقمة وقطرة الماء والدواء والحياة .

وتذكرنا ايضا بعزم المرأة اللبنانية التي آثرت البقاء في العاصمة المعذبة ، الصامدة ، المتحدية لكل الآلة الحربية المجرمة التي سلطتها اسرائيل الغازية الى رؤوس الآمنين فيها من اطفال ونساء وشباب وشيوخ .

وللذكرى عبرة بل عبر تستحق التوقف عندها والاستيحاء منها .

ما الذي اجتذب نساء يختلفن في مواقفهن وانتماءاتهن وعقائدهن الى الالتحاق بالاعتصام الذي دعت اليه هيئات نسائية لبنانية، والذي توجهت في يومه الاول السيدة وجيهة ادريس الوزان بنداء مؤثر تناقلت اصداءه وسائل الاعلام المحلية والعالمية ؟

لم يكن الاعتصام اجتماعا ترفيهيا ولا حفلة غنائية ولا معرضا فنيا !

لماذا اذن هذا الحشد من نساء بيروت وهذا التجاوب والدعم من نساء الجبل والبقاع والجنوب والشمال ؟ ولماذا برقيات التأييد ووفود المؤازرة من رسميين وممثلين لهيئات اجتماعية وثقافية واعلامية لبنانية وعربية وعالمية ؟

الا تستحق تلك الظاهرة المعبرة وقفة تأمل واستخلاص دروس ؟ سيما ونحن نحتاج اليوم ، مثلنا بالامس ، بل امس الحاجة ، الى وقفة واحدة ، موحدة ، كان اعتصام ٣١ تموز ١٩٨٢ تجسيدا لها .

فاذا كنا بالامس قد واجهنا اجتياحا غازيا ، وقنابل حارقة ، وحصارا قاتلا ، فيجثم اليوم على صدورنا جيش محتل ، شرد اهلنا ونكل بهم ، دمر اقتصادنا ، واشعل نار الفتنة بين ابنائنا ، وعمل على تجزئة وطننا وتقطيع اوصاله .

أيها الحفل الكريم !

كانت المرأة اللبنانية وما زالت وستبقى تتألم لكل ضحية تقع ، ولكل بريء يسقط .

فالقنابل العشوائية او الهادفة ، في الجبل والساحل وبيروت وغيرها من المناطق اللبنانية، تصيبنا في الصميم ، نحن الامهات والزوجات والمواطنات ، لانها تضيع القضية . فبنادقنا يجب ان توجه الى العدو الاسرائيلي المحتل حيث هو ، هذا العدو الذي يضغط على ضلوعنا فيسحقها لابتلاعنا .

فلتكن هذه الذكرى حافزا لنا نحن النساء، لاعادة رص صفوفنا وتوحيد كلمتنا ، والاسهام الفعال في ازالة كل ما يعيق السبيل الى الوفاق الوطني ، الضمانة الوحيدة لتطهير لبنان من المحتل الغاصب ، واجلاء الجيوش غير اللبنانية كافة عن ارضه، وبسط سيادة الشرعية على كل شبر من ترابه .

ان الوفاق اللبناني ـ اللبناني هو السلاح الامضى لتحقيق الانقاذ الذي وضعه اللبنانيون في صدارة قضاياهم واهتماماتهم ، عندما لبوا دعوة العهد الجديد ووضعوا في تصرفه كل ما يملكون من امكانات معنوية وبشرية وسياسية لتفويت الفرصة على المحتلين والطامعين والعابثين بمقدرات وطننا وشعبنا ومؤسساتنا .

فلنعمل متضامنين متكاتفين على احقاق الحق وفي سبيل الديمقراطية والعدالة والمساواة .

ولنسهم في ما نسهم في وقف حرب الجبل الذي كان وما زال ونريده ان يبقى مفخرة لبنان وعنفوانه وشموخه . فلبنان بساحله وجبله وجنوبه وبقاعه وشماله لجميع ابنائه من دون استثناء ، واللبنانيون على اختلاف عقائدهم وميولهم هم مع لبنان الواحد السيد المستقل الديمقراطي .

وحدتنا الوطنية كفيلة بانقاذ مسيرة الانقاذ !

هل وعينا اهمية وضرورة وأولوية هذه الوحدة قبل فوات الآوان ؟.

وبعد التجول في المعرض والتوقف عند كل « يوم » ، تعاهدت النساء على العمل من أجل رص الصفوف وتوحيد الكلمة ليعود لبنان الوطن الموحد السيد الحر الديمقراطي.

جانب من الصور

المرأة اللبنانية وذكرى الاعتصام اثناء الحصار
معرض وصفحة مجيدة وصحف تروي الصمود
محقلة الوزان ومطر تدعوان لتحرير الوطن

السيدة وجيهة الوزان تلقي كلمة الافتتاح

معرض ذكرى الاعتصام في الجامعة الاميركية

الاعتصام النسائي في الجامعة الاميركية ٣١ تموز ١٩٨٢ [illegible] حصار بيروت كان رمزا [illegible] تاريخ المرأة اللبنانية. المرأة اللبنانية [illegible] سنة عل [illegible] في [illegible]

ت لجنة حقوق المرأة اللبنانية ميات الاعتصام الذي تقيمه اعتصام ٣١ تموز ١٩٨٢ في سجل نضال المرأة

دة وجيهة الوزان مساء امس في ضور رئيسة لات عن هي: كة

طر تتحدث في الافتتاح.

صمات منذ سنة متذكرات
جديد التزامنا تلك المعاني

السيدة الوزان والملتقيات.

- 81 -

(هاروت جيرجيان)

الايام المشؤومة التي لم [illegible] عائلاتنا النوم والراحة [illegible] بل اللقمة وقطرة [illegible] الحياة. وتذكرنا [illegible] التي آثرت [illegible] المعذبة، [illegible] لكل الآلة [illegible] سلطتها [illegible] التي الآمنين [illegible] على رؤوس وشيوخ [illegible] وشباب اللبنانية وما [illegible] تقع، [illegible] تتألم لكل ضحية [illegible] القنابل [illegible] الحيل [illegible] يسقط، في [illegible] الهادفة، أو [illegible] بيروت وغيرها من [illegible] اللبنانية، تصيبنا في [illegible] الامهات والزوجات [illegible] نحن تضيع القضية [illegible] واطناتها، لانها توجه الى العدو [illegible] أدقنا يجب ان [illegible] المحتل حيث هو، هذا [illegible] سرائيلي الذي يضغط ضلوعنا فيسحقها [illegible] مدو [illegible] ويتلاعنا.

فلتكن هذه الذكرى حافزا لنا نحن النساء، لاعادة رص صفوفنا وتوحيد كلمتنا، والاسهام الفعال في ازالة كل ما يعيق السبيل الوحيد لتطهير الوطن، الضمان الغاصب، واجلاء لبنان من المحتل [illegible] كافة الجيوش غير [illegible] الشرعية.

وحياة اهالي بيروت في تلك

بالذكر ان الاعتصام كان [illegible] عدد من الهيئات الحصار الصهيوني الجنوبية. واستمر [illegible] 1982 حتى ٣٠ [illegible] الطعام لمدة [illegible] في حرم

الاثنين احا

EN PHOTOS ET DOCUMENTS, LA TRISTE COMMEMORATION DU SIEGE DE BEYROUTH

Mme Wazzan prononçant son allocution.

[illegible] casion du premier an- [illegible] re du «sit in» féminin [illegible] le 31 juillet 82 sur le [illegible] rs de l'A.U.B., à l'appel [illegible] épouse du premier mi- [illegible], M. Chafic Wazzan, une [illegible] sition a été organisée à [illegible] ssaitbeh, dans les locaux [illegible] la «Commission des droits [illegible] la femme libanaise».

Cette exposition a porté sur les documents journalistiques et littéraires qui ont témoigné des moments difficiles vécus par «Beyrouth-Ouest» lors du siège de la ville.

A la cérémonie d'inauguration, Mme Wazzan a prononcé une allocution de circonstance dans laquelle elle a rendu hom- [illegible] de la femme dans [illegible] routh, Mme Wazzan a réaffirmé la volonté de la femme libanaise à défendre les valeurs humaines qui sont «les fondements mêmes, a-t-elle souligné, «d'un Liban libre, souverain et indépendant». L'épouse du premier ministre a conclu: «La partie nous appelle, soyons à la hauteur de la mission».

قلة النساء في المناصب العليا

نشرت ((انباء مكتب العمل الدولي)) في عدد لها مقالا تناولت فيه الصعوبات التي تعترض النساء العاملات وتمنعهن من ولوج المناصب الادارية العالمية بالرغم من تزايد عددهن في ميادين العمل والانتاج .

ونظرا لاهمية الموضوع ، ولطرحه على بساط البحث لبنانيا في العديد من اللقاءات والدورات والندوات الخاصة بقضايا النساء عامة والعاملات بشكل خاص ، تنقل ((قضايا المرأة)) رأي منظمة العمل الدولية من خلال نشرها نص المقال ، علما ان هذا الموضوع يتطلب بحثا أشمل وأوسع مما يمكن لمقال فقط ان يطرحه .

غالبا ما يكون صعود امرأة الى قمة الهرم الاداري ، شبيها في صعوبته بتسلق قمة ايفرست .

على ان الوضع يتباين كثيرا ؛ ليس فقط بين بلد واخر ، بل ايضا بين مهنة واخرى . فالمرأة الاميركية مثلا حققت نجاحا طيبا في الحقل المصرفي ، على ما جاء في تقرير (★) لمنظمة العمل الدولية ، نشر حديثا . ففي العام ١٩٧٤ ، كانت النساء يشكلن نسبة ٢١،٤ في المائة من مجموع موظفي المصارف ومديريها، وبعد أربع سنوات ارتفعت النسبة الى ٣٠،٤ في المائة .

المرأة الاوروبية

ولا تحرز المرأة في فرنسا نجاحا مماثلا في هذه المهنة ، لكن الفرنسيات حققن نجاحا اكبر بكثير في حقل التأمين ، اذ ارتفعت نسبتهن من مجموع الموظفين والاداريين ، من ١٣ في المائة عام ١٩٥٥ ، الى ٢٩ في المائة عام ١٩٧٦ ، ويقال أن هذه النسبة لا تزال على ازدياد .

وموطن قوة المرأة السوفياتية هو حقل الخدمات التجارية ، اذ ان ٤٧ في المائة من مجموع موظفي هذا القطاع هم من النساء أيضا .

وفي تقرير مجري ، ان ١٢ في المائة من المناصب الادارية العليا في التأمين ، تشغلها نساء .

أما في سويسرا فيشير تقرير لاحد المصارف الكبرى ، الى أن ٤٠ في المائة من مجموع الموظفين نساء ، غير ان امرأة واحدة فقط دخلت في مجلس الادارة ، ولا تشكل النساء سوى ١٣ في المائة من مجموع الموظفين الاداريين والتنفيذيين .

وتدل الارقام الاجمالية ، رغم التحسن في السنوات الاخيرة ، على ان المرأة قلما تحظى بالمناصب العليا ، حتى في المهن التي تشكل النساء فيها كثرة اليد العاملة .

وتبين ايضا أن النساء اللواتي يرغبن في وظيفة ادارية ، يحتجن الى شهادات أو مؤهلات أو دعم شخصي ، أكثر من الرجال.

ويؤكد التقرير اخيرا « ان صعود المرأة غالبا ما يفضي الى وظائف مهنية او ادارية جديدة ، وقلما يفضي الى وظائف يغلب فيها الرجال » .

فوات الاوان

الكثير من الفتيات يفوتهن الركب في بداية المرحلة الثانية من تعليمهن ، وهي مرحلة قد تكون عتبة لولوج مهنة ، أو مجازا الى وظيفة تقليدية . وهن يحتجن في مرحلة الاختيار الحرجة هذه ، الى توجيه خاص ، يفتقرن اليه في المعتاد ، لتشجيعهن على الاختيار ، من بين مختلف تسهيلات التعليم والتدريب.

وعلى هذا ، يتأثر اختيارهن بالمواقف التقليدية ، فتكاد نسبة الفتيات لا تصل الى مستواها المفترض في أي من الاختصاصات العلمية ، وتكاد نسبتهن تتوقف على نسبة الرجال في جميع الاختصاصات اللغوية .

في فرنسا مثلا تتجه ٧٨ في المائة من الفتيات الى الادب ، في الشهادات الثانوية ، فيما يختار ٦٢ في المائة من الشبان اتجاهات علمية . وتكاد هذه النسب تتساوى في جميع البلاد ، كانجلترا والدانمرك وسويسرا .

وعلاوة على هذا ، يبين التقرير « ان معظم التدريب على مهن الاشراف والادارة ، يجري في داخل الشركات » . ويضيف ان نسبة اشتراك النساء فيه متدنية جدا .

ويأتي التقرير على ذكر شركة تأمين سويسرية « بلغت فيها نسبة المتدربات على مستوى ادارة المجموعات » في العام الاسبق « تسعة في المائة من مجموع المتدربين ، أما على مستوى ادارة المناطق والمستويات الادارية العليا ، فكانت نسبة المتدربات معدومة تماما » .

(★) مشكلات المرأة العاملة في غير الاشغال اليدوية: تنظيم العمل ، التدريب المهني ، المساواة في المعاملة على موقع العمل ، فرص العمل ، مكتب العمل الدولي، جنيف ، ١٩٨٠ .

وثمة اوضاع مماثلة في البلاد المتقدمة الاخرى ، ومنها النمسا قلة في المناصب الادارية ، فان اهمال المرشحات شائع في دورات التدريب ، أو ان النساء انفسهن لا يقدمن على مثل هذه الدورات طالما انهن لا يرين أية امكانات مهنية قد تنجم من هذا التدريب » .

العقبات

لكن احدى اهم العقبات التي تعترض صعود المرأة هي التبعات العائلية التي تعد عوائق جدية لتقدم النساء في المهن، «وتفسر احجام بعض أصحاب الاعمال عن استثمار اموال في المهن النسائية ، واهمال ترقية المرأة في كثير من الحالات ، وربما تفسر أيضا سبب احجام النساء انفسهن عن المواظبة في مهنتهن » على ما جاء في التقرير .

وجاء أيضا « ان هذا الموقف غالبا ما يظل قائما لدى معظم النساء أكن متزوجات ام غير متزوجات ، أو كان لديهن أبناء ام لم يكن ، طالما ان انجابهن اطفالا امر متوقع، في الاجل او العاجل » .

كما ان السيرة المهنية المتقطعة لدى كثير من النساء تشكل عائقا لتقدمهن في المهنة «ان غياب المرأة عن سوق العمل بسبب الامومة أو العناية بالاطفال قبل سن المدرسة ، يحرمها من الخبرة العملية ومن الانخراط في الركب المهني في مؤسسة ما » .

وثمة عامل اخر ، هو ان كثيراً من النساء يستخدمن استخداما جزئيا . « ونادرا ما تتهيأ وظيفة مهنية وادارية على اساس الاستخدام الجزئي ، وعليه فان النساء اللواتي يعملن بنظام الاستخدام الجزئي ، لا يملكن الا الاختيار بين عدد محدود من المهن، وربما كانت حوافزهن على التقدم في المهنة قليلة » ، على ما يقول التقرير .

ما العمل اذن ؟

ان المساواة المهنية الحقيقية تقتضي تغييرا عميقا في الاوساط الاجتماعية والاقتصادية والتربوية . ولا شك في ان رفع مستوى التوجيه في اختيار المهنة ، وتمكين المرأة تماما من ارتياد مؤسسات ومدارس التدريب العالي وعدم التمييز في الاجور ، هي من ملامح هذا التغيير .

ولا بد من شد انتباه اصحاب الاعمال الى ان عددا متزايدا من النساء اخذن يمكثن في العمل عمرا ، ويبدين من التعلق باعمال مثل ما يبديه زملاؤهن الرجال . وثمة حاجة الى مزيد من الجهد الاعلامي والتعليمي ، لتذليل مفاهيم الذكور المجحفة بحق النساء في المناصب العليا .

وفي المقابل ، لا بد من حوافز اجتماعية واقتصادية اضافية ، من اجل اجتذاب النساء الى المجرى الاقتصادي الاساسي ،

واكسابهن ذهنية اكثر ميلا الى المهنة .

لقد اعتمد عدد من البلاد ، منها الدانمرك والنروج والسويد والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ، اجراءات تشريعية الغرض منها القضاء على بعض العقبات التي تحول دون تقدم النساء في المهنة ، فبعض الاحكام المتعلقة باجازة الاباء او ببعض ترتيبات ساعات العمل مثلا تعترف بان التبعات العائلية يمكن، او لا بد من ان يقتسمها كلا الوالدين .

وعلى صعيد المؤسسات ، اتبع العديد من الممارسات والسياسات المبتكرة . فأنشأت شركات تأمين ومصارف اميركية عديدة ؛ وحدة خاصة للحث على تقدم النساء في المهنة ، أو عينت مسؤولين لتكافؤ الفرص . وفي تجارة المفرق ايضا ، اعتمدت بعض المؤسسات سياسات من شأنها ان تخصص بالنساء عددا من وظائف الادارة او المناصب المهمة في المبيعات .

وهذه المبادرات المختلفة ، تبرهن عن ان « ثمة تصميما على تغيير الانماط السابقة في المهن » ، على ما جاء في التقرير . لكن هذا التقدم بطيء جدا ، والوقت حان للاقدام على مزيد من الخطوات على الصعيدين الوطني والدولي على السواء ، للتخلص من مفهوم الوظائف النسائية المعهودة .

وقد ناقشت اللجنة الاستشارية لمنظمة العمل الدولية التي تتألف من مجموعة من الخبراء ينتمون الى اوساط حكومية واوساط اصحاب الاعمال والعمال ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ بعض هذه المشكلات كما بحثت في وثيقة تتناول مشكلة التغيير البنيوي والتكنولوجي واثاره في استخدام العاملين غير اليدويين ، وشروط استخدامهم . ويتوقع ان يصدر عن الاجتماع توصيات لمجلس ادارة مكتب العمل الدولي، في صدد المبادرات الجديدة التي يمكن اعتمادها لتحسين أوضاع العديد من المستخدمين المأجورين والعمال المهنيين حيثما كانوا .

اخبار عالمية متفرقة

بريطانيا :

انعقد في سكاربورو مؤتمر لمندوبات النساء الاعضاء في اتحاد النقابات البريطانية والبالغ عددهن الاجمالي ثلاثة ملايين امرأة ، وذلك لبحث سبل مواجهة الهجمات التي تشنها حكومة المحافظين البريطانية ضد حقوقهن .

قالت ماري باترسون ، رئيسة اللجنة الاستشارية لقضايا النساء التابعة لاتحاد النقابات البريطانية ، ان النساء يعاملن كمواطنات من الدرجة الثانية . وطرحت باربرا سويتسر ، نائبة سكرتير عام اتحاد عمال المعادن واتحاد عمال الهندسة والصناعات المماثلة اقتراحا ينص على اقرار ميثاق الاباء والامهات العاملين .

ويتضمن مشروع هذا الميثاق تقديم معونة لرعاية الاطفال ، والضمان للواتي يعملن نصف دوام ، والحق في اعادة التشغيل لمدة حتى خمس سنوات بعد ولادة الطفل . ونوهت ايضا بان النساء النقابيات يشكلن القوة الاكثر تنظيما التي تستطيع تحقيق التغيير في حياة النساء .

صندوق الامم المتحدة للطفولة يطالب بوضع حد لسباق التسلح

ليست ثمةمهمة اكثر اهمية من النضال من اجل السلام والانفراج ووضع حد لسباق التسلح . جاء هذا التأكيد في الوثيقة الختامية التي وضعها اجتماع اللجنة التنفيذية لصندوق الامم المتحدة للطفولة (اليونيسيف).

وتؤكد الوثيقة التي تم اقرارها (بالرغم من معارضة ممثلي الدول الغربية) ، انه لا يمكن ضمان حياة سعيدة وامنة لملايين الاطفال بدون تخفيض النفقات العسكرية ودرء خطر الكارثة النووية .

وقد طلب اليونسيف من الدول ان تبذل كل ما في وسعها لتخفيض الميزانيات العسكرية واستخدام الموارد التي يتم توفيرها لحل مشاكل مثل الجوع والفقر والمرض (التي يعاني منها بالدرجة الاولى الاطفال) . ونوهت وثيقة اليونسيف بانه اذا لم تتخذ اجراءات جذرية في القريب العاجل فان عدد الاطفال الذين يعيشون في ظل الفقر المدقع سيبلغ ما يزيد على مليار طفل في نهاية العقد الجاري .

المانيا الديمقراطية

في جمهورية المانيا الديمقراطية تشكل النساء نصف مجموع العاملين . كما تشكل النساء نصف اعضاء اتحاد النقابات الالمانية الحرة البالغ عددهم الاجمالي تسعة ملايين . ومن اجل الدفاع بشكل افضل عن مصالح النساء العاملات تم منذ ٣٠ عاما تشكيل لجان النساء النقابية في المؤسسات .

لقد أبرزت الممارسة النقابية اليومية ان الناس يشتغلون أفضل ويبدون اقبالا أكبر على عملهم اذا كانوا يحسون بجهود مستمرة ترمي الى تحسين ظروف عملهم وحياتهم . غير ان استمرار هذه الجهود لا يمكن تأمينه الا اذا ظل تحسين ظروف العمل والحياة عنصرا من العناصر الثابتة لنشاطات القيادات النقابية على كل المستويات عامة والنقابات المهنية خاصة .

ان تشكيل لجان النساء النقابية هي عبارة عن هيئات طوعية في اطار الفرع النقابي في المؤسسة ، تشترك فيها النقابيات ذوات الخبرة الواسعة الى جانب العاملات الشابات .

تعمل هذه اللجان اساسا على ضمان أفضل ، وتطبيق عمل للمكتسبات الاجتماعية للشعب من أجل تعزيز مركز النساء في المجتمع .

من خلال هذه اللجان توفق القيادات النقابية بين مصالح ممارسة المهنة واداء واجبات الامومة . وهكذا ، فان النقابات تعير اهتماما متزايدا باستمرار لقضايا النساء والامهات الشابات . وتحرص لجنة النساء النقابية ، مثلا ، على ألا تعاني الامهات الشابات من الافكار المسبقة المتعلقة بالمهنة ، كما تساعدهن على توفير اماكن لاطفالهن في دور الحضانة ورياض الاطفال . عليهن اداء اعمال منزلية كثيرة . وفي هذا المجال تهتم اللجان بان يتمعن بفرص الراحة والاستجمام وفقا لاحكام القانون وبان يستفدن استفادة كاملة من فرص رفع مستواهن المهني .

وتشجع هذه اللجان ترقية النساء الى مناصب مسؤولة . كما تملك حق الرقابة على احترام الترتيبات القانونية في مجال رعاية الصحة والامن الصناعي وتنظيم ساعات العمل بل ويمتد خارج بوابة المصنع او المنشأة . ففي احيان كثيرة لا يمكن حل قضايا العاملات الا من خلال التعاون بين النقابة والسلطات المحلية في الاحياء السكنية . وتتوقف قدرة اللجان النقابية النسائية على حل المشاكل القائمة لما فيه مصلحة الجميع ، على التعاون الوثيق بين كل العاملات في المؤسسة .

ندوة نسائية دولية في كوبنهاغن

انعقدت في كوبنهاغن ندوة دولية حول « العواقب الاقتصادية والاجتماعية لسباق التسلح بالنسبة لوضع النساء وعوائلهن » ، اقامها اتحاد النساء الديمقراطي العالمي بالتعاون مع الاتحاد الديمقراطي لنساء الدانمارك . وشارك في هذه الندوة الهامة ، التي نظمت في اطار التحضير للمؤتمر العالمي الثالث لعقد النساء الذي اعلنته الامم المتحدة ، ٧٨ مندوبا ومندوبة من ٢٣ بلدا من بلدان اوروبا والولايات المتحدة وكندا ، كانوا يمثلون منظمات نسائية ونقابات وحركات سلام . كما حضر اعمال الندوة ممثلون للمركز الدولي لهيئة الامم المتحدة (فيينا) ومنظمة العمل الدولية واتحاد النقابات العالمي .

كان الهدف الرئيسي من هذه الندوة القيام باجراء مناقشة صريحة ومثمرة وتبادل الاراء والتجارب في ميدان اكثر قضايا عصرنا الحاحا ، الا وهي قضية تصعيد سباق التسلح التي تؤدي الى ارتفاع البطالة واستفحال الازمة الاقتصادية والتضخم والمشاكل الاجتماعية المقلقة في العديد من مناطق العالم وتزايد خطر وقوع كارثة نووية .

وقد تركزت المناقشة الواسعة النطاق ، التي تلت التقرير الافتتاحي لمريم فيره تومينين ، السكرتيرة العامة لاتحاد النساء الديمقراطي العالمي ، حول المواضيع الرئيسية الاربعة : البطالة والنساء ، والضمان الاجتماعي والعائلات ، وتحويل الصناعات الحربية الى صناعات مدنية ، ودور النساء في النقابات والمنظمات النسائية وغيرها من الحركات في النضال من اجل السلام وحقوق المرأة .

اشغالنا اليدوية بين التقليد والتجدّد

بقدر ما تزداد الحياة الاجتماعية تعقدا وتشابكا ، وبقدر ما تقترب المجتمعات المختلفة من بعضها وتحيك شبكة من الصلات الاقتصادية والفكرية والثقافية وتبني روابط متعددة الجوانب ، متنوعة الاهداف ، وبقدر ما تفعل هذه الصلات وما تفجره في كل بيئة من مسائل وقضايا وتحديات فضلا عن التحديات الناتجة عن الصراع والتطور ، وعن التناقض والوحدة ما بين مكونات المجتمع الواحد ، وما تطرحه من قضايا بحاجة للحل ، ومسائل تتطلب المناقشة. ونظرا لارتباط « قضايا المرأة » بقضايا المرأة الحياتية والثقافية وبمختلف نشاطاتها ارتأت هيئة التحرير ان تعالج مسألة حساسة ودائمة هي العلاقة ما بين العمل اليدوي والذهني وكيفية تقويمه وملامحه الابداعية ، وموقع ودور المرأة فيه .

تعددت وتتعدد أكثر فأكثر المواقف من قضية المرأة تبعا لتعدد المواقع وتنوع الاتجاهات . ولا تختلف وجهات النظر بالنسبة للقضية ككل فحسب انما تتعداها ايضا الى التفاصيل الصغيرة ، وربما جاء هذا دليلا على أهمية الموضوع خاصة وانه مطروح حاليا ، وبحدة قصوى ، على النطاقين المحلي والعالمي . ولكن ليس هذا بمجال بحثنا هنا . فان ما يعنينا الان جانب واحد من المسألة : أن من يتخذ من قضية المرأة موقفا معاديا يحاول جهده حصرها في اطار محدود ، عادي ، تقليدي ، يطلقون عليه صفة «الطبيعي» او « التاريخي » في أحسن الحالات ، وهو : البيت وشؤونه المختلفة .

أما بعض انصار تحرر المرأة فانهم يريدون ، بمحاولة قفز عفوية ، نزعها من هذا الاطار فجأة وبقرار ذاتي يتخذونه بانفسهم بحجة ان كل ما تقوم به المرأة من اعمال في هذا المجال لا يؤدي بالنهاية الا لاسرها في دور واحد

هو « دورها التقليدي » .

وهكذا تلتقي هاتان النظرتان في اعتبارنشاطات المرأةالمختلفة في المنزل، ومن ضمنها الاشغال اليدوية ، « تقليدية » ، ويذهب البعض الى اطلاق هذه الصفة تعميما ، على كل موقف يحث على مثل هذه النشاطات ويشجعها دون اية محاولة للبحث في أسسه ومسبباته واهدافه .

لنطرح هنا هذا السؤال : هل يعنى الموقف المتجدد القضاء العشوائي دون تمييز على كل ما هو سابق بحجة انه جزء من الماضي المتخلف . ام على العكس اعادة تركيب ظواهر هذا الماضي الايجابية في قوالب جديدة اكثر تطورا وأرفع مستوى ؟

ان وجهة نظرنا في هذا المجال واضحة . فما أرادت لجنة حقوق المرأة اللبنانية ، يوما ما . ان تسجن المرأة . أية امرأة . في اطار عمل روتيني ، ممل . عقيم وعديم الجدوى ، مهما كانت طبيعته . وهي كانت دائما تحثها على القيام بأي عمل منتج والانصراف لكل نشاط اجتماعي تختاره والانخراط في اية حملة مطلبية تهمها والمشاركة في كل نضال ديمقراطي يطال حاجاتها ومطالبها باتجاه كسر كل قيد حقوقي أو عرف قد يقف عائقا في وجه تطورها على مختلف الصعد ، وخير دليل على ذلك شعارات اللجنة وبرامج عملها وممارساتها اليومية .

اننا لا نعتقد ان عملا ما ، بحد ذاته ، وبصرف النظر عما كل ما يحيط به ، يمكن ان يكون تقليديا او متجددا ، متلخفا او متطورا . فصفة أي عمل تحددها العلاقات الاجتماعية العامة التي يتحقق في داخلها وضمن مجمل تناقضاتها ، كما ان طبيعته الخاصة تتوافق دون شك مع اوضاع من يقوم به وفي أية ظروف يتم وبأي شكل ينفذ ومصلحة من يخدم . طبعا . هناك تناقض بين العمل اليدوي الصرف ، الميكانيكي ، الرتيب ، غير المجدي ، الذي تغيب عنه كل صفة الابتكار والذي يخلو من كل هدف خاص بالانسان الذي يمارسه فيحوله الى آلة متحركة مؤتمتة لا تعرف للابداع أو حتى لمجرد التفكير معنى . وبين العمل الفكري الخلاق الذي تشترك في تحقيقهمعظم كفاءات الانسان وحواسه .

الا ان الخطأ هو في اعتبار كل الاعمال التي تشترك اليد في بلورتها اعمالا ميكانيكية روتينية كالاشغال اليدوية مثلا وهي ، كما نعلم ، من « اختصاص المرأة » .

لنتوقف قليلا هنا . أفلا يمكننا اعتبار هذه الاشغال عملا مبدعا ؟ أليست فنا من الفنون ؟ ما الذي يحدد الفرق بينها وبين المنمنمات مثلا أو حفر الخشب او الرسم او النحت أو السيراميك ، الخ ... وكلها تحظى بالاحترام الرسمي والشعبي وتتمتع بالتقدير المادي والمعنوي ؟ هل اختلت المقاييس الى درجة اصبح فيها جنس العامل أو الحرفي هو مقياس انتاجه ؟ في القرون الوسطى مثلا ، كان الطب يتأرجح بين « العلم المحترم » و « الشعوذة المضطهدة » نسبة الى من يمارسه، رجل أو امرأة، ونرى الان « من تصميم الازياء الخلاق » يتدحرج الى مرتبة « عملية الخياطة الروتينية» وفقا لمن يقوم به ! تتعدد الامثلة ولا نملك الا حيرة الاختيار ! وتتعقد الامور أكثر عندما نلاحظ بعض الحالات التي تعتبر فيها المرأة « فنانة » ، اي عندما تزاول مثلا صب الفخار أو العزف على آلة موسيقية لانها اعمال من اختصاص الرجل ، أما عندما تخيط ثوبا أو تحيك شالا فانها تعود لتهبط الى مستوى المنفذة لاشغال يدوية تقليدية . وتبدو المفارقة اكبر عندما نعرف ان جميع هذه الاعمال تتطلب قدرا معينا من الجهد الفكري والعصبي بالاضافة الى المهارة اليدوية والذوق الفني ، وان تفاوتت الدرجات . فالتفاوت صفة تلازم مختلف النشاطات واساليب تحقيقها وتتراوح وفقا للظروف المحيطة بها .

ليس باستطاعتنا ان ننكر ، ونحن في أواخر القرن العشرين ، كون كل انسان يتمتع بمجموعة من الميول والكفاءات تطال مختلف الميادين النظرية والعملية ، وتقع على عاتق المجتمع مهمة اكتشاف وتنمية جميع هذه الميول والكفاءات للوصول الى افضل النتائج . بهذا الشرط يستطيع الانسان ان يصبح أكثر انفتاحا وأكثر قابلية للتطور والتقدم . فبأي حق نريد ان نحرم الانسان ، كل انسان ، رجلا كان ام امرأة ، من تنمية جميع امكانياته في أي اتجاه كانت وأي طابع اتخذت ؟ في هذا الاطار يتحول العمل الرتيب ، ولو كان يدويا ، الى عمل خلاق ، منتج وقيم بغض النظر عن جنس القائمين به . وضمن هذا المفهوم نكون قد اتخذنا موقفا متطورا وتقدميا .

أن التناقض بين العمل اليدوي الخلاق والعمل الفكري تناقض مصطنع درجنا على اقراره واعتباره واقعا لا مجال لرده . انه مفهوم نجده عند الفلاسفة الاقدمين اذ قسموا الناس الى فئتين : عامة وخاصة والعمل الى مجالين : يدوي وذهني . فكان هذا الاخير من نصيب الخاصة وكل ما يتمتعون به من احترام وتقدير وبقي العمل اليدوي للعامة وكل ما يحظون به من مهانة واحتقار . وقد حرصت الطبقات المسيطرة في المجتمع ، عبر التاريخ ، على تغذية هذا المفهوم واذكائه وترسيخه بوسائل تربوية واعلامية عديدة مما يتيح لها ان تنفرد وحدها بالاستحواذ على المجالات الفكرية فتؤمن عندئذ استمرارية سيطرتها الايديولوجية .

ان احتقار العمل اليدوي بمجمله والفصل بينه وبين العمل الفكري والاقرار بافضلية هذا الاخير المطلقة يعني الوقوع في شرك المواقف التقليدية ، أما الموقف المتطور فيكون في العمل على ازالة هذا التناقض المفترض .

هذا بالاضافة الى ان المواقف التقليدية تتجلى بالفعل في النظرة الوحيدة الجانب لاي موضوع كان ، ورؤية جزء من كل ، والنظر الى الامور بمزاجية مطلقة ، وعدم التوقف الا عندما نريد التوقف عنده واستخدامه لالقاء التهم جزافا . كما انها تتجلى بشكل أكثر خطورة في تعمد تحويل أية ممارسة متطورة عن موقعها الصحيح تمهيدا للاستخفاف بها ومن ثم لضربها . هذه هي ، عمليا ، بعض مظاهر المواقف التقليدية التي تفتقد حتى صفة الابتكار !